

خليل مطران

الطغاة

مجموعة شعرية

اختارها وقدّم لها

رئيف خوري

شيدوا تاريخكم من نقض ما
شاده في أزل الدهر الطغاة !

منشورات دار المكشوف

خليل مطران

الطغاة

مجموعة شعرية

اختارها وقدّم لها

رئيف خوري

شيدوا تاريخكم من نقض ما
شاده في أزل الدهر الطغاة !

منشورات دار المكشوف

كتب لرئيف خوري

حقوق الانسان
امرؤ القيس
حبة الرمان
ثورة بيدبا
وهل يخفى القمر
الفكر العربي الحديث
صحون ملونة

معالم الوعي القومي
الدراسة الادبية
مجوسي في الجنة
باغانيني ساحر النساء
امين الريحاني
الثورة الروسية

الطبعة الاولى ، بيروت — لبنان ، تشرين الاول ١٩٤٩



خليل مطران

بريشة قيصر الجميل

خليل مطران

ولد في بعلبك سنة ١٨٧٠ وتوفي في القاهرة في اول سنة ١٩٤٩ وفيها دفن .

تلقى دروسه الابتدائية في مدينة مسقط رأسه . ثم في المدرسة البطريركية في بيروت حتى سنة ١٨٨٧ . تتلمذ للشيخ ابراهيم اليازجي . فبرع بالعربية ، واتقن معها الفرنسية وتضلع من آدابها .

بين عامي ١٨٨٧ و ١٨٩٣ ، لبث في بيروت يتولى التعليم في البطريركية والكتابة في الجرائد ، ثم انتقل الى مصر وكتب في بعض جرائدها واخصها الاهرام .

انشأ « المجلة المصرية » شهرية ، عام ١٩٠٠ . ثم انشأ جريدة « الجوائب » يومية عام ١٩٠٣ . وعاد عام ١٩٠٨ فأصدر « المجلة المصرية » أسبوعية .

خدم حركة التمثيل المسرحيفي وادي النيل بارشاداته ومعرباته لاسيما عن شكسبير . وترأس جمعية « ابولو » الشعرية بعد وفاة رئيسها الاول احمد شوقي .

عاش موضوع حفاوة واكبار دائمين في مصر ولبنان لخدماته الادبية ، ونبل أخلاقه . لقب بشاعر القطرين ثم بشاعر الاقطار العربية . وهو حامل وسام الارز الوطني اللبناني .

اشهر آثاره النثرية : « مرآة الايام في ملخص التاريخ العام » ، جزءان (١٩٠٦) « والموجز في علم الاقتصاد » (تعريب عن ليروس بوليه بالاشتراك مع حافظ ابرهيم) و « عطيل » و « تاجر البندقية »(تعريب عن شكسبير) .

اما آثاره الشعرية ، فديوان الخليل ، صدر منه الجزء الاول سنة ١٩٠٥. ثم جزءان صدرا قبل وفاته بقليل ، اشرفت على اصدارهما لجنة خاصة بتكريمه . والمنتظر متابعة اصدار الاجزاء الباقية .

مقدمة

شق خليل مطران بصره على الدنيا — وأقربها اليه الشرق — فشهد ما لا يطمئن اليـه ضمير ، فكيف بضمير شاعر أوتى الحس النبيل الرهيف ووصلته بالشعب صلة بنوة مقدسة لا يجوز عقوقها .

طوال السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ، ثم طوال ما امتدت بـه الحيوية الشعرية في القرن العشرين ، ما انفك خليل مطران يشهد ظلماً مجسماً في هـذا الحكم الفردي المطلق الذي بسطه سلاطين بني عثمان على شعوب الامبراطورية العثمانية ، وظلماً مجسماً في هذا السطو الاستعماري الحديث الذي تناولت به الدول القوية الطامعة مَنْ استطاعت ان تستضعف من شعوب الارض .

عاصر مطران السلطان الجبار عبد الحميد ، ولمس انتفاضات الشعوب البلقانية على الاستعمار التركي ، ولا سيا انتفاضة الجبل الاسود وبنيه الاشداء . وفي بكرة من عُمره غزا الاستعمار الانكليزي مصر ، ثم غزا جنوب افريقيا في الحرب الشهيرة بحرب البوير ، كما غزا الفرنسيون افريقيا الشمالية ، والطليان طرابلس الغرب ، وتمرست الشعوب العربية بالوان البلاء الاستعماري على شتى الايدي ... سلسلة من حوادث بليلة الاطراف بالدمع ،

راشحة بالدم ، تخللها الطغيان الاسود المتحجر والبطولات المشرقة المتمردة .

فكان مطران بازاء هذه الحوادث وسواها من عوامل ، هو الشاعر الذي انطلق بالشعر العربي من مواضيعه التقليدية القديمة ، وبعض قوالبه ، الى مواضيع وقوالب جديدة تجند فيها للحرية على العبودية ، وللاستقلال على الاستعمار ، وللعدل على الظلم ، وغنى يقظة الشعور القومي .

فعل مطران ذلك مباشرة ، أو فعله مداورة ، ذلك بان عمد إلى غابر التاريخ – الشرقي منه خصوصاً – فوقف عند نفر من طغاته أو مظاهر الطغيان فيه ، وكان في كل مرة يستشيط غضباً لما يقترف اولئك الطغاة ، ثم لا يقل غيظاً وتحرقاً على الشعوب التي تنصاع لهم تمشي واجمة خرساء في مأتم عزتها وكرامتها .

ألهب خليل مطران ظهور الطغاة جلداً بسياط شعره ، ولكنه أدمى الشعوب نخساً بمناخسه القاسية استفزازاً لها ، وبعثاً لنخوتها ، وتذكيراً لها بقوتها التي لا يتزود الطغاة قوتهم إلا منها .

شد ما جار خليل مطران في أحيان على الشعوب غيرة ملحة عادمة الصبر ، وتحمس في عزمه لاستنهاضها تحمساً متمادياً ، ثم إذ لمس ضعف رد الفعل لديها خالطت عزفه ، في ساعات ، نغمات قانطة من الصلاح في الشعوب حتى لقد أوشك أحياناً أن يعذر – ولا أقول : يبرر الطغاة .

فاذا تنبهنا إلى فلتاته مما ينحرف به هذا الانحراف ، بقي لنا شاعر لبناني عربي – أكبر شاعر لبناني عربي – شجب الطغاة ، ومسخ عمالقتهم اقزاماً ، ورذل حكم الفرد ، وغار على الشعب غيرة

لم يسلك بها طريق شفقة ولا استعطاف ، بل دعوة الى العصف بالظلم ، ومجد بطولات ابناء الشعب في مقــارعة الغصب والجور ، وزين النضال والاخلاق النضالية في سبيل الاستقــلال والحرية والنور والرقي .

وانما كان حظاً للشعر العربي ان مطراناً عمد إلى هذه الوسيلة التاريخية يشجب بها الطغاة ، والطغيان في العصور . فقصائده في هذا المجال أجود شعره صورة وفكرة وعاطفة ومساق حكاية . جمعناها في هذا السفر تتميماً لرغبة سمعها كاتب هـذه السطور من الشاعر نفسه في بحمــدون صيف زيارته لبنان آخر مرة . فلقد أعرب الخليل يومئذ عن نيته إخراج مثل هذه المجموعـة بعنوان « الطغاة » . ثم لم نعلم أعدّها فتركها مخطوطاً بين أوراقه ، أم شغلته المشاغل ، فجاء عملنا نحن وفاء لارادة من اراداته لا ندري — ولن ندري — مدى رضاه عنه بعد أن أصبح في ذمة التراب وذمم الاجيال اللاحقة .

وهي ست قصائد لمطران في الطغاة والطغيان استمد كثرتها من غابر التاريـخ : « الاهرام » ، و « في ظل تمثال رعمسيس » ، و « السور الكبير في الصين » ، ومقتل « بزرجمهر » ، و « فنجان قهوة » ، و « نيرون » ، اثبتناها في هذا السفر وأضفنا اليها ثلاث قصائد هي « فتاة الجبل الاسود » ، و « حرب غير عـادلة ولا متعادلة » ، و « عتاب واستصراخ » لما تمثل من الطغيــان الاستعماري وشجاعة الثوار الوطنيين في مقاومته وكبح جماحه .

لممنا شتات هذه القصائد جميعهـا من ديوان الخليل المطبوع قديماً ، ثم من الكتب والصحف والمجلات . ولسنا على يقين من اننا

استوفينا كل ما كان يصح أن يدخل من شعره في هذه المجموعة. إلا اننا، فيما نظن، استوفينا المشهور من آثاره في الموضوع.

بقي شيء لا بد من تذكير به. ان هذا السفر اذا حمل اسم: «الطغاة»، فقد كان من حقه أيضاً أن يحمل في عنوانه: «وحقد الاحرار على الظالمين». وإذا كانت مصائر الطغاة إلى المحق والزوال على ايدي شعوبهم غير واضحة تصريحاً في هذا السفر فهي اوضح ما تكون تلميحاً لكل من جس تيّار الروح الساري في جملة هذه القصائد، وكأنما أفرغ مطران هذا التيار كله في بيته الذي يعتبر وصيته ورسالته:

شيدوا تاريخكم من نقض ما شاده في أزل الدهر الطغاة!

بيروت، ١٦ تموز ١٩٤٩ رئيف خوري

الاهرام

الشاعر في مصر، في بلد يكشف سحرَ تاريخه الستار عن الفراعنة: ملوك ذهب اسمهم مثلاً في الطغيان. يطالع الشاعر آثارهم وفي مقدمتها الاهرام في سقارة: قبور لأولئك الملوك ان مثلت شيئاً فدموعاً ودماءً تحجرت. اراقها المسخرون لبناء ابهة شاءَ صانعوها ان يتحدّوا بها الزمان والفناء ولكن تحدياً فارغاً.

لنقرأ الشاعر اذن وقد وقف ليرى هذا المظهر القائم من مظاهر الطغيان، فتراءت له أشبـاح الفعلة المسخرين لتشييد الاهرام، يدبون على الرمال «صفر الوجوه»، «محنية ظهورهم»، «خرس الخطى»، وتجلى له عقم ما صنع الفراعين اذ «استعبدوا امتهم في يومهم وعودوها ان تستعبد للعادي غدا».

شادَ فأعلى وَبَنى فوطَّدا — لا للعُلى وَلا له بلْ للعِدى
مُستعبِدٌ أمتهُ في يومِه — مُستعبدٌ بنيهِ للعادي غدا
إنِي أرى عدَّ الرمالِ ههنا — خلائقاً تكثرُ أن تُعدَّدا
صُفرَ الوجوهِ ناديًا جباهُهم — كالكلإِ اليابسِ يعلوهُ الندى
محنيَّةً ظهورُهم خرسَ الخطى — كالنملِ دبَّ مُستكيناً مخلدا

مُجْتَمِعِينَ أَنْحُراً مُنْفَرِعِينَ أَنْهُراً مُنْحَدِرِينَ صُعُدَا
أَكُلُّ هٰذِي الأَنْفُسُ الهَلْكَى غَداً تَبْنِي لِفَانٍ جَدَثاً ٢ مُخَلَّدَا

•

يَا أَيُّهَا المَوْتَى أَلَمْ يُسْمِعْكُمُ صَوْتُ المُنَادِي صَادِعاً مُرَدِّدَا
قُومُوا انْظُرُوا السُّوقَةَ فِيمَا حَوْلَكُمْ تَدُوسُ هَامَاتِ المُلُوكِ هُمَّدَا
قُومُوا انْظُرُوا العَادِي فِي أَمْصَارِكُمْ يَحْكُمُ فِيهَا مُسْتَبِدّاً أَبَدَا
قُومُوا انْظُرُوا أَجْسَادَكُمْ مَعْرُوضَةً فِي مَشْهَدٍ لِمَنْ يَرُومُ المَشْهَدَا
بَعْثٌ بِهِ يَسْأَلُكُمْ حِسَابَ مَا قَدَّمْتُمُ مَنْ رَاحَ مِنَّا وَاغْتَدَى
لَمْ يُغْنِكُمْ مِنْهُ البِنَاءُ عَالِياً وَالأَرْضُ نَهْباً وَالمُلُوكُ أَعْبُدَا ٣
وَكَانَ يُغْنِيكُمْ جَمِيلُ الذِّكْرِ لَوْ خَفَضْتُمُ اللَّحْدَ وَشِدْتُمْ بِالهُدَى
أَخْطَأَ مَنْ تَوَهَّمَ القَبْرَ لَهُ حِرْزاً يَقِيهِ بِالرَّدَى ٤ مِنَ الرَّدَى

شباط ١٩٠٠

١ العشب . ٢ قبراً . ٣ عبيداً . ٤ الموت .

في ظل تمثال رعماسيس

أثر آخر من آثار الطغاة في مصر : « تمثـال رعماسيس » . شخّص الشاعر في ظله مستعرضاً تاريخ رجل وحقبة . لا يفوته ان يلم بما تلألأ آنئذ ، في حدود العصر ، من لمعات انتصار ومجد وازدهار . لكنّ عرْق الشاعر الحر ما يلبث ان ينبض به ، فيذكر انه انما ينظم لزمان غير زمـان رعماسيس ، فيرد قوة الفرعون المتأله الى قوة امدته بها الرعية. ويسخط ان تكون ذلت له وضلت به فألهته ونصبت له تمثالاً معبوداً قبّلت مرمره القاني وهي ذاهلة عن انها لا تقبّل إلا دمها المسفوك على يدي صاحب التاج في حروب الغزو وفتكات الاضطهاد .

يَا صُورَةً شَبَّهَتْ صَخْراً بِإِنْسَانِ ... فِي رَوْعَةٍ مَلأَتْ قَلْبِي وَإِنْسَانِي [1]
لا وَجْهَ أَبْهَى وَلَا أَزْهَى بِرَوْنَقِهِ ... مِنْ وَجْهِكَ ٱلنَّضِرِ فِي مَنْحُوتِ صَوَّانِ
مِنَ ٱلْمَلِيكِ ٱلَّذِي تَثْنِي جَلَالَتُهُ ... عَنْـهُ ، وَيَمْضِي فَمَا يَثْنِيهِ مِنْ ثَانِ ؟
هٰذَا فَتَى ٱلنِّيلِ ذُو ٱلتَّاجَيْنِ مِنْ قِدَمٍ ... هٰذَا فَتَى مِصْرَ « رَعْمَاسِيسُ ٱلثَّانِي »
« سِيزُسْتِرِيسُ » ٱلَّذِي دَانَ ٱلْعُتَاةُ لَهُ ... مِنْ قَوْمِ « حِثٍّ » وَمِنْ فُرْسٍ وَيُونَانِ
إِنْ قَصَّرَ ٱلْجَيْشُ أَغْزَى ٱلرَّأْيَ [2] أَمْكِنَةً ... مَا فَازَ خَاتِلُهَا مِنْهَا بِإِمْكَانِ

«مَمْنُونُ» مُرْدِي ٱلْأَعَادِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ... بَطْشاً وَمُسْدِي ٱلْأَيَادِي غَيْرَ مَنَّانِ
مُسْتَقْبِلُ ٱلشَّمْسِ عَبْرَ ٱلنَّهْرِ مَا طَلَعَتْ ... صُبْحاً ، بِرَأْسٍ مِنَ ٱلْجُلْمُودِ رَنَّانِ
أَنَاظِرٌ أَنْتَ لِمَا هَمَّ كَيْفَ خَطَا ... مِنَ ٱلصَّفَا [٣] غَيْرَ مُعْتَاقٍ وَلَا عَانِ ؟
هُوَ ٱلْمَضَاءُ تَرَاءَى فَٱسْتَوَى رَجُلاً ... هُوَ ٱلْإِبَاءُ رَعَى ضَعْفِي فَحَيَّانِي
قَارَبْتُ سُدَّتَهُ ٱلْعُلْيَا عَلَى وَجَلٍ ... وَلَمْ أَخَلْهُ يُنَاجِينِي فَنَاجَانِي
تَرَاهُ عَيْنَايَ مَغْضُوضاً لِهَيْبَتِهِ ... طَرْفَاهُمَا ، وَتَرَانِي مِنْهُ عَيْنَانِ
أَرَابَنِي أَنَّنِي قَبْلًا بَصُرْتُ بِهِ ... مُحَنَّطاً مُدْرَجاً فِي سُودِ أَكْفَانِ [٤]
أَكْبِرْ بِرَمْسِيسَ مَيْتاً لَنْ يُلِمَّ بِهِ ... مَوْتٌ وَأَكْبِرْ بِهِ حَيّاً إِلَى ٱلْآنِ
تَقَوَّضَ ٱلصَّرْحُ فِيمَا حَوْلَهُ وَنَجَا ... عَلَى ٱلتَّقَادُمِ لَمْ تُمْسَسْ بِحَدَثَانِ [٥]
لَوْلَا تَمَاثِيلُهُ ٱلْأُخْرَى مُحَطَّمَةً ... مَا جَالَ فِي ظَنِّ فَانٍ أَنَّهُ فَانِ
فِي «مِصْرَ» كَمْ عَزَّ فِرْعَوْنٌ فَأَخْلَدُوا ... خُلُودَهُ بَيْنَ أَبْصَارٍ وَأَذْهَانِ
وَلَمْ يَتِمَّ لَهَا فِي غَيْرِ مُدَّتِهِ ... مَا تَمَّ مِنْ فَضْلِ إِثْرَاءٍ وَعُمْرَانِ
وَلَمْ يَسِرْ بِبَنِيهَا مِثْلَ سِيرَتِهِ ... سَاعٍ إِلَى ٱلنَّصْرِ لَا سَاهٍ وَلَا وَانِ
مِنْ مُنْتَهَى ٱلنِّيلِ فِي أَيَّامِهِ ٱتَّسَعَتْ ... إِلَى أَعَالِيهِ فِي «نُوبٍ» وَ«سُودَانِ»
وَمِنْ عَلِيِّ ٱلذُّرَى فِي «ٱلطُّورِ» عَنْ كَثَبٍ ... إِلَى قَصِيِّ ٱلرُّبَى فِي أَرْضِ «كَنْعَانَ»

•

فِي أَرْضِ كَنْعَانَ ! إِلَّا أَنَّ عَسْكَرَهُ ... أَحَسَّ مَا بَأْسُ شَعْبٍ غَيْرِ مِذْعَانِ

أعادَ كَرّاتِهِ فِيها ، وعادَ على أعقابِهِ بعدَ إيغالٍ وإمعانِ
فما يُرى نقعُهُ ، وهوَ الضَّبابُ علا تلكَ الرُّبى فمحاها دَحوَ قيعانِ ٦
حتّى تهبَّ بِهِ رِيحٌ فتزجِهُ عنها عثُوراً بأذيالٍ وأردانِ ٧
وتبرزَ القمَمُ الشّمّاءُ ذاهِبةً في الأوجِ تحسبُها أجزاءَ أعنانِ ٨
مغسولةً بدماءِ الفجرِ طالِعُها مِنْ أدمعِ القطرِ دُرٌّ فوقَ مرجانِ ٩
سُفوحُها حُرَّةٌ والهامُ مُطلَقةٌ وكلُّ عانٍ بِها بعدَ الأسى هاني
وموقعُ الذُّلِّ ناءٍ عن أعزَّتِها كموقعِ الظِّلِّ عنْ هاماتِ « لُبنانِ »
لكنَّما الخلفُ في الجارَيْنِ صارَ إلى حِلفٍ ، وأدنى إلى الصُّلحِ : الأشدّانِ
وإنَّ خيراً حليفاً مَنْ تَروضُ بِهِ صعباً وتُولِيهِ وُدّاً بعدَ عُدوانِ
تصافَيا فصفا جوُّ العُلى لهُما وطَوعاً ما عصى ممّا يرومانِ
وطالَما كانَ ذاكَ الإلفُ بينَهُما على صُروفِ اللّيالي خيرَ معوانِ
في مبدإِ الدّهرِ والأقوامُ جاهلةٌ زهَا بمُبتكَراتِ العقلِ عصرانِ :
عصرٌ بِما ابتدعَ « الفينيقُ » واخترعُوا فيهِ لهُ فضلُ سبّاقٍ ومحسانِ
وعصرُ « مِصرَ » الّذي فاقتْ روائعُهُ آيَ الأجدَّيْنِ مِنْ فخمٍ ومُزدانِ
ممّا توالتْ على الوادِي بِهِ حِقَبٌ زيّنتْ حواشِي الصّفا مِنهُ بأفنانِ
وباتِّحادِهِما في الشّأنِ مِنْ قِدَمٍ ما زالَ يرتبطُ الأسنى مِنَ الشّانِ

يا مجدَ «رمسيس» كم أبقيتَ من عجبٍ ... فيهِ ومسألةٍ عنهُ لحيرانِ
أبغِضْ بهِ في العدى من هادمٍ حنقٍ ... وحبّذا هوَ للتاريخِ من بانِ
عالي الصروحِ كما والى الفتوحَ بلا ... رفقٍ بقاصٍ ولا عطفٍ على دانِ
أكانَ منزلُهُ في المجدِ منزلَهُ ... لو رقّ قلباً لشيبٍ أو لشبّانِ ؟
أم كانَ ما أدركتْ «مصرُ» على يدهِ ... ذاكَ المقامَ الذي أزرى «بكيوانِ» ١٠
تخيّرَ الخطّةَ المثلى لهُ ولها ... يعلو فتعلو بهِ، والخفضُ للشاني ١١
ما زالَ بالقومِ حتى صارَ بينهمُ ... إلهَ جندٍ تحابيهِ وكهّانِ
وربَّ سائمةٍ بلهاءَ هائمةٍ ... تشقى وتهواهُ في سرٍّ وإعلانِ
يسومُها كلَّ خسفٍ وهيَ صابرةٌ ... لا صبرَ عقلٍ ولكن صبرَ إيمانِ ١٢
ألا وقد بلغتْ في الخافقينِ بهِ ... مكانةً لم تكنْ منها بحسبانِ ١٣
إن باتَ في حجبٍ باءتْ إلى نصبٍ ... يلوحُ منهُ لها معبودُها الجاني
فبجّلتْ تحتَ تاجِ الملكِ مُدميها ... وقبّلتْ دمَها في المرمرِ القاني
واليومَ لو بُعثتْ من قبرِها لبدا ... لها كما خبرتْهُ منذُ أزمانِ
ما زالَ صخراً على العهدِ الذي عهدتْ ... بلا فؤادٍ وإن داجى بجثمانِ ١٤
مسخّراً قومَهُ طرّاً لخدمتهِ ... وما بغى، ربَّ سوءٍ محضُ إحسانِ
مخلّدَ المجدِ دونَ القائمينَ بهِ ... من شوسِ حربٍ وصنّاعٍ وأعوانِ ١٥
مخالساً ذمّةَ العلياءِ مضطجعاً ... من مهدِ عصمتِها في مضجعِ الزاني ١٦

بحيثُ آبَ وكُلُّ ٱلفخرِ حِصّتُهُ — ولم يؤُبْ غيرُهُ إلّا بحرمانِ
كم راحَ جمعٌ فِدى فردٍ وكم بُذِلتْ — في مُشترى سيّدٍ أرواحُ عُبدانِ
لموقعِ ٱلأمرِ فيهم كلُّ تكرمةٍ — ومُنفذِ ٱلأمرِ فيهم كلُّ نسيانِ

•

كلّا وعزّتِهِ فيما طغى وبغى — وذلَّ من قبلُ ٱلضيزى بإذعانِ [١٧]
هُمُ ٱلذينَ على عُسرٍ بمطلبِهِ — قد أسلفوهُ بأموالٍ وفتيانِ
وهُمْ على سفهٍ دانوا بمن نصبوا — فخوّلوهُ مديناً حقَّ ديّانِ
فيمَ ٱلأُولى صنعوا أنصابَهُ درستْ — رسومُهُمْ منذُ باتوا رهنَ أكفانِ
وما لأسمائِهِمْ دونَ ٱسمِهِ دُفنتْ — شُعثاً مُنكّرةً في رمسِ كتمانِ [١٨]
إن يجهلِ ٱلشعبُ فالحكمُ ٱلخليقُ بهِ — حقُّ ٱلعزيزينِ من والٍ وسلطانِ
أو يرشدِ ٱلشعبُ يمسِ ٱلأمرُ في يدِهِ — ولا ٱعتدادَ بأملاكٍ وأعيانِ
ليتَ ٱلبلادَ ٱلتي أخلاقُها رسبتْ — يعلو بأخلاقِها تيّارُ طغيانِ
ألنارُ أسوغُ وِرداً في مجالِ علىً — من باردِ ٱلعيشِ في أفياءِ فينانِ [١٩]
أكرِمْ بذي مطمعٍ في جنبِ مطمعِهِ — ينجو ٱلأذلّاءُ من خسفٍ وخسرانِ
يهبُّ فيهم كإعصارٍ فينقلُهُمْ — من خفضِ عيشٍ إلى هيجاءِ ميدانِ
بعضُ ٱلطغاةِ إذا جلّتْ إساءتُهُ — فقد يكونُ بهِ نفعٌ لأوطانِ
في كلِّ مفخرةٍ تسمو ٱلشعوبُ بها — تفنى جموعٌ مفاداةً لأُحدانِ

كَمْ في سَنَى ٱلْكَوْكَبِ ٱلْوَهَّاجِ مَهْلَكَةٌ … فِي كُلِّ لَمْحٍ لِأَضْوَاءٍ وَأَلْوَانِ

•

لَمْ تَرْقَ فِي حِقْبَةٍ «مِصْرٌ» كَمَا رَقِيَتْ … فِي عَصْرِهِ بَيْنَ أَمْصَارٍ وَبُلْدَانِ
لَمَّا رَمَتْ كُلَّ نَائِي ٱلشَّوْطِ مُمْتَنِعٍ … بِسَابِقِينَ إِلَى ٱلْغَايَاتِ شُجْعَانِ
أَلَا تَرَى فِي بَقَايَا ٱلصَّرْحِ كَيْفَ مَضَوْا … بِأَوْجُهٍ بَادِيَاتِ ٱلْبِشْرِ غُرَّانِ [20]
وَكَيْفَ عَادُوا وَ«رَمْسِيسُ» مُقَدَّمُهُمْ … إِلَى ٱلرُّبُوعِ بِأَوْسَاقٍ وَغِلْمَانِ [21]
فَبَعْدَ أَنْ صَالَ بَيْنَ ٱلْمَالِكِينَ بِهِمْ … صَارَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُعَلَّى بَيْنَ أَوْثَانِ
بِالْأَمْسِ يُدْنِيهِ قُرْبَانٌ لِآلِهَةٍ … وَٱلْيَوْمَ يَأْتِيهِ أَرْبَابٌ بِقُرْبَانِ
إِنْ يَغْدُ رَبَّهُمُ ٱلْأَعْلَى فَلَا عَجَبٌ … هَلْ مِنْ نِظَامٍ بِلَا شَمْسٍ لِأَكْوَانِ؟
جَهَالَةٌ وَلَدَتْ فِيهَا قَرَائِحُهُمْ … ضُرُوبَ نَحْتٍ وَتَصْوِيرٍ وَبُنْيَانِ
مِمَّا لَوِ ٱسْتَطْلَعَ ٱلرَّانِي نَفَائِسَهُ … لَمَا ٱنْقَضَى عَجَبُ ٱلْمُسْتَطْلِعِ ٱلرَّانِي
فِي كُلِّ مُنْكَشِفٍ كَنْزٌ، وَمُسْتَتِرٍ … مَظَنَّةٌ لِخَبَايَا ذَاتِ أَثْمَانِ
آيَاتُ مَقْدِرَةٍ جَلَّتْ دَقَائِقُهَا … شَأَى بِهَا كُلَّ قَوْمٍ قَوْمُ هَامَانِ [22]
تَقَادَمَ ٱلْعَصْرُ ٱلْخَالِي بِهَا وَلَهَا … تَمُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ مِنْ حِذْقٍ وَإِتْقَانِ
لَمْ يَعْتَوِرْ مَجْدَهَا مَهْدُومُ أَرْوِقَةٍ … وَلَمْ يُذِلْ فَنَّهَا مَهْدُودُ أَرْكَانِ [23]
وَرَاضَ كُلَّ أَبِي هَوْلٍ بِهَا حَرِدٍ … دُمًى تَهَاوِيلُهَا آيَاتُ إِحْسَانِ [24]
وَزَادَ رَوْعَتَهَا أَنْقَاضُ آلِهَةٍ … فِيهَا حَوَانٍ عَلَى أَنْقَاضِ تِيجَانِ

سُجُودُ مَا كَانَ مَسْجُوداً لَهُ عِظَةٌ … فِي نَفْسِ كُلِّ لَبِيبٍ ذَاتِ أَشْجَانِ
وَرُبَّ رُزْءٍ بِآثَارٍ أَشَدُّ أَسًى … مِنْهُ مُلِمّاً بِأَشْخَاصٍ وَأَعْيَانِ
وَالتَّاجُ أَشْجَى إِذَا مَا انْقَضَّ عَنْ صَنَمٍ … مِنْهُ إِذَا مَا هَوَى عَنْ رَأْسِ إِنْسَانِ

•

بَيْتٌ عَتِيقٌ يُرَى فِيهِ الْكَمَالُ عَلَى … مَا شَابَهُ الْآنَ مِنْ أَعْرَاضِ نُقْصَانِ
حَجَجْتُهُ وَبِهِ مِنْ طُولِ مُدَّتِهِ … وَفَضْلِ جِدَّتِهِ لِلطَّرْفِ حُسْنَانِ
مَا زَالَ وَالدَّهْرُ يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ … يُزْهَى جَلَالًا رِوَاقَاهُ الْمَدِيدَانِ
فِي النَّقْشِ مِنْهُ لِأَهْلِ الذِّكْرِ قَدْ كُتِبَتْ … آيَاتُ ذِكْرٍ بِإِحْكَامٍ وَتِبْيَانِ
تَنَزَّلَتْ صُوَراً وَاسْتُكْمِلَتْ سُوَراً … فِي مُصْحَفٍ مِنْ دِعَامَاتٍ وَجُدْرَانِ
شَاقَتْ بِفِتْنَتِهَا الْأَقْوَامَ فَاقْتَبَسُوا … مِنْهَا أُصُولَ حُكُومَاتٍ وَأَدْيَانِ
وَمِنْ حُلَاهَا اسْتَمَدُّوا كُلَّ تَحْلِيَةٍ … بِلَا مُحَاشَاةِ «إِغْرِيقٍ» وَ«رُومَانِ»

•

هٰذَا هُوَ الْمَجْدُ، نَفْنَى وَالْبَقَاءُ لَهُ … عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالٍ وَأَزْمَانِ
تَارِيخُ «مِصْرٍ» وَ«رَمْسِيسُ» فَرِيدَتُهُ … عِقْدٌ مِنَ الدُّرِّ مَنْظُومٌ بِعِقْيَانِ ٢٥
مَا مِثْلُهُ فِي طُرُوسِ الْفَخْرِ مِنْ قِدَمٍ … طِرْسٌ مِنَ الْفَخْرِ أَوْعَى كُلَّ عُنْوَانِ ٢٦

١ حدقة العين . ٢ اغزى الرأي : ارسله غازياً ، اي اعمل الفكر في اتخاذ الحيلة .
٣ الصفا: الحجر . ٤ ارابني : اوهمني وجعلني ارتاب . ٥ الحدثان : نوائب الدهر .
٦ النقع : ما يتطاير من الغبار . دحاها : بسطها . قميان : اراض منخفضة . ٧ اردان : جمع ردن، وهو كم القميص . ٨ الاعنان: نواحي السماء . ٩ القطر: المطر . ١٠ كيوان: اسم كوكب . ١١ الشاني : المبغض . ١٢ الخسف : حمل المرء على ما يكره. ١٣ الخافقان : المشرق والمغرب . الحسبان : الظن . ١٤ داجى : دارى ، اي اخفى حقيقته . ١٥ شوس : شجعان اشداء . ١٦ مخالساً ذمة العلياء : اي خائنا لها . ١٧ الضيزى : القسمة الجائرة .
١٨ شعثاً : متفرقة ، اي مهملة . ١٩ افياء : ظلال . فينان : غصن طويل حسن. ٢٠ غران جمع اغر : وهو الحسن الوضيء . ٢١ اوساق : جمع وسق، وهو الحمل . ٢٢ شأى : سبق .
هامان : هو الذي ورد ذكره في الآية الكريمة : « يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب » .
٢٣ لم يذل : لم يمتهن . ٢٤ حرد : غاضب . ٢٥ فريدته: جوهرته النفيسة. العقيان: الذهب.
٢٦ طروس : صحف . اوعى : جمع واستوعب .

السور الكبير في الصين

وهذا طاغية آخر يتناوله مطران من تاريخ الصين. ملك يتركه مجهول الاسم، هو على طغيانه وتعاظمه لا يخلو من حكمة. يغيظه، وان أرضى كبرياءه، ان تخنع امته له هذا الخنوع، فيقلق لمصيرها اذا سطا عليها الغزاة. ويشاء ان يطبع تاريخها بطابع منه يمحو من سبقه ويغلب على من لحقه. فيذهب به الفكر الى بناء سور كبير يعصم الامبراطورية من الغزاة ويغمر الرعية بالامان. فيقول له الشاعر: ضللت السبيل. لن يجدي قومك «تضييق دنياهم عليهم» بهذا السور. ولن يمنعهم سورك «ولو جعلت الجبال بعض حجارته» اذ لا عاصم للامم الضعيفة مثل «فضائل تكسبها بما تتمرس به من تجارب».

الشاعر

مَا لِلْمَلِيكِ مُؤَرَّقًا يَتَقَلَّبُ   هَلْ يَحْمِلُ ٱلْهَمَّ ٱلسَّرِيرُ ٱلْمُذْهَبُ
أَنْتَ ٱلرَّجَاءُ فَأَيَّ شَيْءٍ تَرْتَجِي   وَٱلرَّوْعُ[1] أَنْتَ فَأَيَّ شَيْءٍ تَرْهَبُ
وَٱلْمُلْكُ جِسْمٌ أَنْتَ فِيهِ هَامَةٌ   وَيَدَاكَ مَشْرِقُ شَمْسِهِ وَٱلْمَغْرِبُ

الملك

إِنِّي مُنِيتُ بِأُمَّةٍ مَخْمُوْدَةٍ   مِنْ ذُلِّهَا ، وَلَهَا ٱلْقَنَاعَةُ مَشْرَبُ
لَا ظُلْمَ يُغْضِبُهُمْ وَلَوْ أُوْذِي بِهِمْ   وَهَلِ ٱسْتَعَزَّتْ أُمَّةٌ لَا تَغْضَبُ
إِنْ يَبْكِ ثَاكِلُ وُلْدِهِ وَزَجَرْتَهُ   عَنْ نَحْبِهِ أَلْفَيْتَهُ [2] لَا يَنْحَبُ
وَإِذَا نَهَيْتَ عَنِ ٱلْوُرُوْدِ [3] عِطَاشَهُمْ   وَتَحَرَّقَتْ أَكْبَادُهُمْ لَمْ يَشْرَبُوا
وَإِذَا أَذَبْتَ ٱلشَّحْمَ مِنْ أَجْسَامِهِمْ   تَعَباً فَإِنَّ نُفُوْسَهُمْ لَا تَتْعَبُ
أَعْيَانِيَ ٱلتَّفْكِيْرُ فِي أَدْوَائِهِمْ   مِمَّا عَصَيْنَ وَحِرْتُ كَيْفَ أُطَبِّبُ
إِنَّ ٱلْجِمَادَ أَبَرُّ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ   بِهِمِ وَأَمْتَنُ فِي ٱلدِّفَاعِ وَأَصْلَبُ
فَلَأَبْنِيَنَّ لَهُمْ جِدَاراً ثَابِتاً   كَالْأَرْضِ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَخَرَّبُ
تَقَعُ ٱلدُّهُوْرُ وَكُلُّ جَيْشٍ ظَافِرٍ   مِنْ دُوْنِهِ وَثَبَاتُهُ مُتَغَلِّبُ
وَتَهُزُّ مَنْكِبَهُ ٱلصَّوَاعِقُ حَيْثُمَا   شَاءَتْ وَلَا يَهْتَزُّ مِنْهُ ٱلْمَنْكِبُ
وَيَعَضُّهُ نَابُ ٱلصَّوَاعِقِ مُحْرِقاً   فَيَرُدُّهُ كَسْراً وَلَا يَتَثَقَّبُ
وَيَمِيْدُ ظَهْرُ ٱلْأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ   وَرِكَابُهُ فِي ٱلْمَتْنِ لَا تَتَنَكَّبُ
وَلَأَجْعَلَنَّ بِهِ ٱلْبِلَادَ مَنِيْعَةً   يَرْتَدُّ عَنْهَا ٱلطَّامِعُ ٱلْمُتَوَثِّبُ
وَلَأَدْعُوَنَّ مَمَالِكِي وَشُعُوْبَهَا   بِٱسْمِي فَيُجْمَعُ شَمْلُهَا ٱلْمُتَشَعِّبُ
وَلَأَمْحُوَنَّ رُسُوْمَ أَسْلَافِي بِهَا   فَيَبِيْتُ مَاضِي ٱلصِّيْنِ وَهْوَ مُحَجَّبُ
وَيُظَنُّ عَهْدِي بَدْءَ عَهْدِ وُجُوْدِهَا   فَيَتِمُّ لِي ٱلْفَخْرُ ٱلَّذِي أَتَطَلَّبُ

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي حَسَنَاتُهُ   فَوْقَ ٱلَّذِي نُثْنِي عَلَيْهِ وَنُطْنِبُ
كَمْ غَزْوَةٍ لَكَ فِي عِدَاكَ عَجِيبَةٍ   لَا شَيْءَ غَيْرَ نَدَاكَ مِنْهَا أَعْجَبُ
كَمْ رَحْمَةٍ قَلَّدْتَ أَقْوَاماً بِهَا   أَعْنَاقَهُمْ وَٱلسَّيْفُ يُوشِكُ يَسْلُبُ
كَمْ مِنَّةٍ لَكَ فِي ٱلْعِبَادِ جَمِيلَةٍ   كَٱلشَّمْسِ تُنْمِي رَوْضَةً وَتُذْهِبُ
هٰذِي كَوَافِلُ حُسْنِ ذِكْرِكَ فِي ٱلْوَرَى   وَأَبَرُّ مَا يَبْقَى ٱلْفَعَالُ ٱلطَّيِّبُ
يَكْفِيكَ فَخْراً أَنَّ أَعْظَمَ أُمَّةٍ   تَنْضَمُّ فِي مُلْكٍ إِلَى ٱسْمِكَ يُنْسَبُ
فَعَلَامَ أَنْتَ تُزِيلُ ذِكْرَ مُلُوكِهَا   وَمُلُوكُهَا ٱلْعُظَمَاءُ مَوْتَى غُيَّبُ
إِنْ تُمْحَ مِنْ أَسْفَارِهِمْ أَخْبَارُهُمْ   فَٱلصَّخْرُ يُنْحَتُ وَٱلْمَنَاحِتُ تَكْتُبُ
وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلنَّاسَ بَعْدَكَ أَمْرُهُمْ   فَتُلَامُ مَا طَالَ ٱلْمَدَى وَتُؤَنَّبُ
خَدَعَتْكَ كَاذِبَةُ ٱلْمُنَى بِوُعُودِهَا   وَٱلْحُرُّ يُخْدَعُ وَٱلْأَمَانِي تَكْذِبُ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى ٱلْحَنِيَّةِ صَادِقاً   فَٱلذِّكْرُ لَيْسَ يُعِيدُ عُمْراً يَذْهَبُ
أَمَّا ٱلْجِدَارُ فَلَوْ رَفَعْتَ بِنَاءَهُ   حَتَّى ٱسْتَقَرَّ عَلَى ذُرَاهُ ٱلْكَوْكَبُ
وَلَوِ ٱلْجِبَالُ جُعِلْنَ بَعْضَ حِجَارِهِ   وَلُحِمْنَ حَتَّى ٱلْمَاءُ لَا يَتَسَرَّبُ
فَلَيُحْدِثَنَّ ٱلنَّاسُ مَا هُوَ فَوْقَهُ   عِظَماً وَإِتْقَاناً وَمَا هُوَ أَغْرَبُ
وَلَتُصْنَعَنَّ نَوَاسِفٌ تُنْفِي ٱلرُّبَى   بِدُخَانِهَا مَنْثُورَةً تَتَلَهَّبُ

وَلَتَنفُذَنَّ إلى بكين خلائقٌ   بيضاءُ تغنم ما تشاءُ وتنهبُ
تأتي بها فوق البحار سفائنٌ   كالجن في جدّ العواصف تلعبُ
ماذا يفيد السور حول ديارهم   وقلوبهم فيها ضعافٌ هُرَّبُ
فأبرّ من تضييق دنياهم به   أن ترحب الدنيا بهم ما ترحبُ
ألأمنُ قتّالُ الشجاعة فيهم   وحياتها فيهم مخاوفُ ترقبُ
لا يعصمُ الأممَ الضعيفةَ فطرةٌ   إلا فضائلُ بالتجارب تكسبُ
فتكونُ حائطها المنيعَ على العدى   وتكونُ قوّتها التي لا تُغلَبُ

كانون الثاني ١٨٩٧

١ الخوف . ٢ وجدته . ٣ الشرب . ٤ تنثر الجبال .

مقتل بزرجمهر

هنا ينتقل الشاعر الى التاريخ الفارسي ، يتناول منه طاغيته . فاذا هو – يا للدهشة ! – كسرى أنو شروان : ملك ذهب اسمه مثلاً في العدل . ولم يذهل بال الشاعر عما ينطوي عليه اختياره من خلاف للمتعارف المألوف. فقدم لقصيدته بهذا التمهيد: « اشتهر كسرى بالعدل، وكان بلا منازع اعدل ما يكون الملك المطلق اليد في احكام بلاده . فان كان ما وصفناه في هذه القصيدة احدى جنايات مثله في العادلين ، فما حال الملوك الظالمين ؟ »

يريد الشاعر بذلك ان يشجب نظام الطغيان ، وحكم الفرد ، جملةً وأساساً ، مشيراً الى ان هذا النظام لا تشفع به صفة العدالة الشخصية في الملك الحاكم ، ولا تلطف من مساوئه ومقابحه .

بقي ما يستوعي الانتباه : ان بطلة القصيدة فتاة عبّر الشاعر بلسانها – حين خرست بقية الالسنة – تعبيراً بليغاً عن روح النقمة على كسرى والمستسلمين لظلمه . وهكذا دفع مطران بالمرأة الى ساحة مقاومة الاستبداد ، وجعلها في ميزان الرجل بل رجحها عليه .

سَجَدُوا لِكِسْرَى إِذْ بَدَا إِجْلَالَا كَسُجُودِهِمْ لِلشَّمْسِ إِذْ تَتَلَالَا
يَا أُمَّةَ ٱلْفُرْسِ ٱلْأَسْوَدِ عَلَى ٱلْعِدَى مَاذَا أَحَالَكِ فِي ٱلسَّلَامِ سِخَالَا [1]

كُنْتُمْ كِبَاراً فِي ٱلْحُرُوبِ أَعِزَّةً   وَٱلْيَوْمَ بِتُّمْ صَاغِرِينَ ضِئَالَا
عُبَّادَ كِسْرَى مَانِحِيهِ نُفُوسَكُمْ   وَرِقَابَكُمْ وَٱلْعِرْضَ وَٱلْأَمْوَالَا
تَسْتَقْبِلُونَ نِعَالَهُ بِوُجُوهِكُمْ   وَتُعَفِّرُونَ أَذِلَّةً أَوْكَالَا [٢]
أَلتِّبْرُ كِسْرَى وَحْدَهُ فِي فَارِسٍ   وَيَعُدُّ أُمَّةَ فَارِسٍ أَرْذَالَا
شَرُّ ٱلْعِيَالِ عَلَيْهِمِ وَأَعَقُّهُمْ   لَهُمُ وَيَزْعُمُهُمْ عَلَيْهِ عِيَالَا
إِنْ يُؤْتِهِمْ فَضْلًا يَمُنَّ وَإِنْ يَرُمْ   ثَأْراً يُبِدْهُمْ بِٱلْعَدُوِّ قِتَالَا
وَإِذَا قَضَى يَوْماً قَضَاءً عَادِلًا   ضَرَبَ ٱلْأَنَامُ بِعَدْلِهِ ٱلْأَمْثَالَا

•

يَا يَوْمَ قَتْلِ بُزُرْجُمِهْر [٣] وَقَدْ أَتَوْا   فِيهِ يُلَبُّونَ ٱلنِّدَاءَ عِجَالَا
مُتَأَلِّبِينَ لِيَشْهَدُوا مَوْتَ ٱلَّذِي   أَحْيَا ٱلْبِلَادَ عَدَالَةً وَنَوَالَا
يُبْدُونَ بِشْراً وَٱلنُّفُوسُ كَظِيمَةٌ   يُجْفِلْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمِ إِجْفَالَا
تَجْلُو أَسِرَّتَهُمْ بُرُوقُ مَسَرَّةٍ   وَقُلُوبُهُمْ تُدْمَى بِهِنَّ نِصَالَا
وَإِذَا سَمِعْتَ صِيَاحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ   لَمْ تَدْرِهِ فَرَحاً وَلَا إِعْوَالَا

•

وَيَلُوحُ كِسْرَى مُشْرِفاً مِنْ قَصْرِهِ   شَمْساً تُضِيءُ مَهَابَةً وَجَلَالَا
شَبَحاً لِأَرْمُوزَ [٤] ٱلْعَظِيمِ مُمَثَّلَا   مَلِكاً يَضُمُّ رِدَاؤُهُ رِئْبَالَا [٥]
يَزْهُو بِهِ ٱلْعَرْشُ ٱلرَّفِيعُ كَأَنَّهُ   بِسَنَى ٱلْجَوَاهِرِ مُشْعَلٌ إِشْعَالَا

وَكَأَنَّ شُرْفَتَهُ مَقَامُ عِبَادَةٍ نُصِبَ ٱلتَّكَبُّرُ فِي ذُرَاهُ مِثَالَا
وَكَأَنَّ دُرَّةَ سَيْفِهِ عَيْنٌ تَرَى كَمْ تَحْتَ قَائِمِ سَيْفِهِ آجَالَا

•

مَا كَانَ كِسْرَى إِذْ طَغَى فِي قَوْمِهِ إِلَّا لِمَا خَلَقُوا بِهِ[٦] فَعَّالَا
هُمْ حَكَّمُوهُ فَٱسْتَبَدَّ تَحَكُّمًا وَهُمُ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ فَصَالَا
وَٱلْجَهْلُ دَاءٌ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فِي ٱلْعَالَمِينَ وَلَا يَزَالُ عُضَالَا
لَوْلَا ٱلْجَهَالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ إِلَّا خَلَائِقَ إِخْوَةً أَمْثَالَا
لٰكِنْ خَفَضَ ٱلْأَكْثَرِينَ جَنَاحَهُمْ رَفَعَ ٱلْمُلُوكَ وَسَوَّدَ ٱلْأَبْطَالَا
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلْمَوْجَ يَسْفُلُ بَعْضُهُ أَلْفَيْتَ تَالِيَهُ طَغَى وَتَعَالَى
نَقْصٌ لِفِطْرَةِ كُلِّ حَيٍّ لَازِمٌ لَا يَرْتَجِي مَعَهُ ٱلْحَكِيمُ كَمَالَا

•

وَإِذِ ٱسْتَوَى كِسْرَى وَأَجْلَسَ دُونَهُ قُوَّادَهُ ٱلْبُسَلَاءَ وَٱلْأَقْيَالَا
صَعِدَتْ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْجَمَاعَةِ صَيْحَةٌ كَادَتْ تُزَلْزِلُ قَصْرَهُ زِلْزَالَا
وَإِذَا ٱلْوَزِيرُ بُزُرْجُمُهْرُ يَسُوقُهُ جَلَّادُهُ مُتَهَادِيًا مُخْتَالَا
وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا ٱلْجُمُوعُ وَتَغْتَدِي كَٱلْمَوْجِ وَهْوَ مُدَافِعٌ يَتَتَالَى
سَخِطَ ٱلْمَلِيكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَةٍ فَٱقْتَصَّ مِنْهُ غَوَايَةً وَضَلَالَا
أَبُزُرْجُمُهْرُ حَكِيمُ فَارِسَ وَٱلْوَرَى يَطَأُ ٱلسُّجُونَ وَيَحْمِلُ ٱلْأَغْلَالَا

كِسْرَى أَتُبْقِي كُلَّ فَدْمٍ غَاشِمٍ [٧] حَيّاً وَتُرْدِي [٨] ٱلْعَادِلَ ٱلْمِفْضَالَا
وَتَدُقُّ فِي مَرْأَى ٱلرَّعِيَّةِ عُنْقَهُ لِيَمُوتَ مَوْتَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُذَالَا [٩]
أَيْنَ ٱلتَّفَرُّدُ مِنْ مَشُورَةِ صَادِقٍ وَٱلْحُكْمُ أَعْدَلُ مَا يَكُونُ جِدَالَا
إِنْ تَسْتَطِعْ فَٱشْرَبْ مِنَ ٱلدَّمِ خَمْرَةً وَٱجْعَلْ جَمَاجِمَ عَابِدِيكَ زِلَالَا
وَٱذْبَحْ وَدَمِّرْ وَٱسْتَبِحْ أَعْرَاضَهُمْ وَٱمْلَأْ بِلَادَهُمُ أَسًى وَنَكَالَا
فَلَأَنْتَ كِسْرَى مَا تَرَى تَحْرِيمَهُ كَانَ ٱلْحَرَامَ وَمَا تُحِلُّ حَلَالَا
وَلَيَذْكُرَنَّ ٱلدَّهْرُ عَدْلَكَ بَاهِراً وَلَتُحْمَدَنَّ خَلَائِقاً وَفِعَالَا
لَوْ كَانَ فِي تِلْكَ ٱلنِّعَاجِ مُقَاوِمٌ لَكَ لَمْ تَجِئْ مَا جِئْتَهُ ٱسْتِفْحَالَا
لٰكِنْ أَرَادَتْ مَا تُرِيدُ مُطِيعَةً وَتَنَاوَلَتْ مِنْكَ ٱلْأَذَى إِفْضَالَا

•

نَادَاهُمُ ٱلْجَلَّادُ هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِبُزُرْجُمُهْرَ فَقَالَ كُلٌّ لَا لَا!
وَأَدَارَ كِسْرَى فِي ٱلْجَمَاعَةِ طَرْفَهُ فَرَأَى فَتَاةً كَٱلصَّبَاحِ جَمَالَا
تَسْبِي مَحَاسِنُهَا ٱلْقُلُوبَ وَتَنْثَنِي عَنْهَا عُيُونُ ٱلنَّاظِرِينَ كِلَالَا [١٠]
بِنْتُ ٱلْوَزِيرِ أَتَتْ لِتَشْهَدَ قَتْلَهُ وَتَرَى ٱلسَّفَاهَ مِنَ ٱلرَّشَادِ مُدَالَا
تَفْرِي ٱلصُّفُوفَ خَفِيَّةً مَنْظُورَةً فَرْيَ ٱلسَّفِينَةِ لِلْحَبَابِ [١١] جِبَالَا
بَادٍ مُحَيَّاهَا فَأَيْنَ قِنَاعُهَا وَعَلَامَ شَاءَتْ أَنْ يَزُولَ فَزَالَا
لَا عَارَ عِنْدَهُمُ كَخَلْعِ نِسَائِهِمْ أَسْتَارَهُنَّ وَلَوْ فَعَلْنَ ثَكَالَى

فَأَشَارَ كِسْرَى أَنْ يُرَى فِي أَمْرِهَا　　فَمَضَى ٱلرَّسُولُ إِلَى ٱلْفَتَاةِ وَقَالَا :
مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَمَنَّعِي ؟　　قَالَتْ لَهُ أَتَعَجُّباً وَسُؤَالَا ؟
أُنْظُرْ وَقَدْ قُتِلَ ٱلْحَكِيمُ فَهَلْ تَرَى　　إِلَّا رُسُوماً حَوْلَهُ وَظِلَالَا
فَٱرْجِعْ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ وَقُلْ لَهُ　　مَاتَ ٱلنَّصِيحُ وَعِشْتَ أَنْعَمَ بَالَا
وَبَقِيتَ وَحْدَكَ بَعْدَهُ رَجُلًا فَسُدْ　　وَٱرْعَ ٱلنِّسَاءَ وَدَبِّرِ ٱلْأَطْفَالَا
مَا كَانَتِ ٱلْحَسْنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا　　لَوْ أَنَّ فِي هٰذِي ٱلْجُمُوعِ رِجَالَا

اذار ١٩٠١

١ السخال : اولاد الشاة .　٢ ضعافاً جبناء .　٣ ضبطت بهذا الشكل كما ينطق بها الفرس في لغتهم.　٤ الاله الاكبر للفرس.　٥ اسداً.　٦ استحقوه .　٧ جاهل ظالم .　٨ تقتل .
٩ مهاناً .　١٠ ضعفاً .　١١ الموج .

فنجان قهوة

« حديث واقعة جرت في قصر ملك مستبد » ، بهذه الكلمات قدم الشاعر لقصيدته ، ثم عرّفنا الى طاغيته ، فاستعار له – تحقيراً وتهويناً لشأنه – صورة « ثعلب متـــدثر بالارجوان معصب » . ووصف ابنته الحسناء محبوسة ، او كالمحبوسة ، من قصره في قفص حديديّ . استشرفت وجه فتى حارس جميل في جند ابيها ، فهامت به وعزمت على لقائه سراً في ضمير الظلام . لكن « الثعلب » الساهر الماكر المدثر بالارجوان لا تفوت عيونه المتجسسة بادرة . فامر بقتل ابنته رمياً بسهم يشق الظلمة ويشق قلبها اذ هي على قيد خطوات من حبيبها ساعية الى لقائه . ثم جاء بالفتى الحارس الجميل ، فسقاه فنجان قهوة فيه السم الزعاف . واثبت ان حرية القلب كحرية العقل لا تقوم لها قائمة مع الطغاة .

اَلْبَحْرُ سَاجٍ [1] وَالسَّكِينَةُ سَائِدَه وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَالْمَدِينَةُ رَاقِدَه
غَمَرَ الظَّلَامُ هِضَابَهَا وَجِبَالَهَا وَقِلَاعَهَا وَصُرُوحَهَا فَأَزَالَهَا
شِبْهَ الْمُحِيطِ الْمُسْتَوِي وَبِقَاعِهِ [2] مَا لَا يُرَى مِنْ شُمِّهِ وَبِقَاعِهِ
لَا نَجْمَ فِي الْأُفْقِ الْمُحَجَّبِ سَافِرُ خَلَلَ السَّحَابِ وَلَا سِرَاجٌ سَاهِرُ
وَإِذَا أَصَاخَ إِلَى الْجِهَاتِ مُطِيفُ سَمْعاً فَلَا رِكْزٌ [3] يُحَسُّ خَفِيفُ
إِلَّا خُطَى شَبَحٍ ضَئِيلٍ هَائِمِ كَالْوَهْمِ يَسْرِي فِي مُخَيِّلَةِ وَاهِمِ

فِي غَـابَةٍ بِجِوَارِ دَارِ ٱلْمُلْكِ فِي أُفُقِ ٱلْجَلَالِ وَمَطْلَعِ ٱلنُّورِ ٱلْخَفِي
فِي هَضْبَةٍ أَقْوَى عَلَيْهَا ثَعْلَبُ مُتَدَثِّرٌ بِالْأُرْجُوَانِ مُعَصَّبُ
دَامِيُ ٱلشِّفَاهِ يَمُدُّ شِبْهَ ٱلنَّارِ لُؤْلُؤُ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْآثَارِ
وَيُجِيلُ فِي ٱلْآفَاقِ أَخْبَثَ نَاظِرٍ مُتَقَلِّبًا فِيهَا تَقَلُّبَ حَائِرِ
وَيَمِيلُ إِصْغَاءً إِلَى ٱلنَّسَمَاتِ خَوْفًا مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ وَٱلْأَمْوَاتِ
يَخْشَى ٱلْأَنَامَ وَكُلُّهُمْ يَخْشَوْنَهُ لَكِنْ يُبِيحُهُمُ وَهُمْ يَرْعَوْنَهُ
وَكَأَنَّمَا ٱلْعَظْمُ ٱلرَّمِيمُ ٱلْبَالِي مِنْ كُلِّ مَنْ ضَحَّاهُ غَيْرَ مُبَالِي
يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ ٱلْقُبُورِ مُبَكِّتًا أَبَدًا فَيَلْبَثُ مُصْغِيًا مُتَلَفِّتَا

•

تِلْكَ ٱلْخُطَى فِي ٱلْهَضْبَةِ ٱلشَّمَّاءِ كَانَتْ خُطَى إِنْسِيَّةٍ حَسْنَاءِ
بِنْتِ ٱلْمَلِيكِ ٱلْمُسْتَبِدِّ ٱلْعَاتِي أَلْعَابِدِ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱللَّذَّاتِ
أَلسَّالِبِ ٱلْمُعْطِي لِأَدْنَى مَأْرَبِ أَلْهَادِمِ ٱلْبَانِي لِأَدْنَى مُوجِبِ
أَلْغَادِرِ ٱلْهَيَّابَةِ ٱلرِّعْدِيدِ إِلَّا بِقَتْلِ ٱلْآمِنِينَ ٱلْقُودِ ٦
جَفَتِ ٱلسَّرِيرَ إِلَى مَكَانٍ خَالِي مِنْ أَعْيُنِ ٱلرُّقَبَاءِ وَٱلْعُذَّالِ
لِلِقَاءِ جُنْدِيٍّ جَمِيلِ ٱلْمَنْظَرِ كَٱلشَّمْسِ بَادِيَةً بِصُورَةِ قَسْوَرِ ٧
رَأْسِ ٱلْحُمَاةِ لِصَرْحِ ذَاكَ ٱلْعَاهِلِ ٨ لَيْلًا وَحَارِسِ رَأْسِهِ مِنْ غَائِلِ
لَمَحَتْهُ يَوْمًا خِلْسَةً فِي مَوْكِبِ بِجِوَارِ وَالِدِهَا ٱلْأَمِيرِ ٱلْأَهْيَبِ

تَمْحُو أَشِعَّةُ حُسْنِهِ ٱلْوَهَّاجِ   بِجَمَالِهِنَّ جَلَالَ رَبِّ ٱلتَّاجِ
فَأَصَابَهَا سَهْمُ ٱلْغَرَامِ وَأَلْمَا   حَتَّى لَكَانَ يَهُونُ لَوْ أَجْرَى دَمَا
وَقَضَتْ لَيَالِيَ بَعْدَ ذٰلِكَ سَاهِدَه   حَيْرَى مُوَلَّهَةً مُلَوْلَا وَاجِدَه
لَا تَسْتَرِيحُ وَلَا تَقِرُّ مِنَ ٱلْجَوَى   وَتَخَالُ دَاءً مَا بِهَا وَهُوَ ٱلْهَوَى

•

فَٱسْتَوْصَفَتْ ظِئْرًا لَهَا فِي أَمْرِهَا   حَدْبَاءَ أَذْكَى ٱلشَّيْبُ فَاحِمَ شَعْرِهَا
طَوَتِ ٱلسِّنُونُ عَلَى ٱلْخَدَائِعِ قَلْبَهَا   وَأَتَتْ بِٱلْعِبَرِ ٱلسَّوَاطِعِ لُبَّهَا
فَتَمَثَّلَا فِي وَجْهِهَا ٱلْمُتَجَعِّدِ   لِلنَّاقِدِينَ وَطَرْفِهَا ٱلْمُتَوَقِّدِ
قَالَتْ : بُنَيَّةِ ! إِنَّ جِسْمَكِ سَالِمُ   وَلَعَلَّ دَاءَكِ أَنَّ قَلْبَكِ هَائِمُ
قَالَتْ أَظُنُّكِ أَنَّ رُؤْيَةَ رَانِي   تُفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى ٱلْبُرَحَاءِ
قَالَتْ كَذَاكِ ٱلْحُبُّ بَادِئُ بَدْئِهِ   حَتَّى يَنُوءَ ٱلْمُسْتَهَامُ بِعِبْئِهِ
قَالَتْ فَكَيْفَ تَرَيْنَ لِي أَنْ أَذْهَلَا   قَالَتْ أَرَى سُلْوَانَهُ بِكِ أَمْثَلَا
قَالَتْ أُحَاوِلُهُ وَقَلْبِيَ دَامِي   فَإِذَا سَلَوْتُ ذَكَرْتُ فِي ٱلْأَحْلَامِ
قَالَتْ فَيَا أَسَفًا وَلٰكِنْ قَدَرَا   لَكِ يَا ٱبْنَةَ ٱلْأُمَرَاءِ رَبُّكِ مَا جَرَى
فَلَئِنْ أَطَعْتِ هَوَاكِ وَهُوَ مُحَكَّمُ   فَسِوَاكِ فِيهِ يَا بُنَيَّةُ مُجْرِمُ
قَالَتْ فَمَنْ ؟ قَالَتْ مِزَاجُكِ ثَائِرًا   وَقُوَاكِ وَاهِيَةً وَجَهْلُكِ آمِرًا
وَجَمِيعُهَا مِنْ عِيشَةِ ٱلتَّقْيِيدِ   وَٱلسِّجْنِ وَٱلتَّضْيِيقِ وَٱلتَّشْدِيدِ

فَخُذِي لِنَفْسِكِ مِنْ كِتَابٍ مُؤْنِساً   قَالَتْ أَيَشْفِي غُلَّتِي ؟ قَالَتْ عَسَى
وَأَتَتْ إِلَيْهَا ظِئْرُهَا مُنْذُ الْغَدِ   بِكِتَابٍ اخْتَارَتْهُ وَفْقَ الْمَقْصِدِ
جَمَعَ الْغَرِيبَ مَسَائِلاً وَشَوَارِدَا   وَحَوَى الْعَجِيبَ رَسَائِلاً وَقَصَائِدَا
فَاسْتَحْسَنَتْ مِنْهُ الْأَمِيرَةُ نَادِرَه   نُظِمَتْ بِشِبْهِ الْأَدْمُعِ الْمُتَنَاثِرَهْ
فِي ذِكْرِ قَائِدِ فِرْقَةٍ مَشْهُورِ   عَلِقَتْهُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْحُورِ
فَتَعَاهَدَا فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ   عَهْداً عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
ثُمَّ انْتَهَى بِهِمَا الْغَرَامُ إِلَى الرَّدَى   ظُلْماً ، فَكَانَا بِالْمَنِيَّةِ أَسْعَدَا

•

ذَاكَ الْحَدِيثُ أَثَارَ ظُلْمَةَ فِكْرِهَا   وَأَزَالَ حَيْرَةَ بَالِهَا فِي أَمْرِهَا
فَاسْتَوْثَقَتْ مِنْ ظِئْرِهَا أَنْ تَكْتُمَا   مَا أَزْمَعَتْهُ وَأَمْطَرَتْهَا أَنْعُمَا
وَأَسَرَّتِ النَّجْوَى إِلَيْهَا أَنَّهَا   تَرْجُو عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ عَوْنَهَا
قَالَتْ فَمَا هُوَ ذَاكَ يَا مَوْلَاتِي ؟   قَالَتْ وَقَدْ شَرِقَتْ مِنَ الْعَبَرَاتِ
هُوَ أَنْ أَرَاهُ تَحْتَ جُنْحِ ظَلَامِ   وَلَوَ انَّ فِي ذَاكَ اللِّقَاءِ حِمَامِي
قَالَتْ وَمَنْ تَعْنِينَ قَالَتْ أَعْظَمَا   حَرَسِ الْمَلِيكِ وَخَيْرَهُمْ مُتَوَسَّمَا
ذَاكَ الْفَتَى الْعَالِي عَلَى الْفِتْيَانِ   حَامِي مَنَامِ أَبِي مِنَ الْعُدْوَانِ
قَالَتْ وَمَنْ لِي أَنْ أَرَاهُ خَالِياً   أَوْ أَنْ يُصَدِّقَ دَعْوَتِي فَيُوَافِيَا
قَالَتْ إِذَنْ أَمْضِي إِلَيْهِ كِتَاباً   قَالَتْ لَهَا فَلْتَأْتِيَنْ عُجَابَا

هذا قِيادُكِ في يدَيهِ يُوضعُ بلْ فخرُ آلِكِ بلْ صِباكِ يُضيَّعُ
أكذا تُراسِلُ حُرةٌ مجهولَا ساءَ ٱلكتابُ وقدْ يخونُ رسولَا
قالتْ أصبتِ وإنما لمْ تنظري ذاكَ ٱلحبيبَ كما نظرْتُ فتعذري
لوْ شِمتِ بارِقَ حُسنِهِ ٱلفتانِ لرأيتِ عينَ ٱلحُسنِ في إنسانِ
ورأيتِ أبدعَ صورةٍ للخالِقِ في خَلقِهِ أتكونُ حلْيَ منافقِ
كلّا وأزعُمُهُ أعزَّ وأكرَما أوْ يفسدَ ٱلنورُ ٱلنقيُّ ويتْهما

•

وإذِ ٱستتمَّتْ قولَها سكتَتْ وقدْ أغضتْ كما هوَ شأنُ مُهتاجٍ همدْ
وقضتْ كذاكَ هُنيهةً مُتفكِّرَه ثُمَّ ٱستوتْ مجهودةً متغيِّرَه
ورنَتْ لِمُرضعِها طويلًا ساجيَه بنواظِرٍ لا روحَ فيها ساهيَه
منهوكةً لولا عزيمةُ رأيِها لتقطَّعتْ أوصالُها منْ وهْيِها
وتكادُ تُقرأُ آيةٌ بجبينِها مكتوبةٌ باليأسِ بينَ عيونِها
قالتْ أمرْتُ بأنْ أراهُ فأجملِي هذا ٱلكتابَ إليهِ لا تتمهَّلي
ألموتُ في ٱلحالينِ غايةُ مسلكي فلأنعمنَّ بنظرةٍ ولأهلكِ

•

وتواعدَ ٱلمتعاشقانِ على ٱللقا في مأمنٍ منْ طارقٍ أنْ يطرُقا
حتى إذا دفقَ ٱلدُّجى بسيولِهِ مضتِ ٱلأميرةُ في خلالِ سُدولِهِ

تَخْتَالُ فِي أَثْوَابِهَا ٱلسَّوْدَاءِ عَنْ قِطْعَةٍ تَمْشِي مِنَ ٱلظَّلْمَاءِ
طَوْراً تَضِلُّ وَتَارَةً تَتَعَثَّرُ وَفُؤَادُهَا مُتَفَزِّعٌ مُتَطَيِّرُ
وَتَكَادُ إِنْ لَمَحَتْ إِشَارَةَ نُورِ تَنْحَلُّ مِثْلَ غَيَاهِبِ ٱلدَّيْجُورِ [11]
لَكِنَّ ذَاكَ ٱلْخَوْفَ لَمْ يَتَجَرَّدِ مِنْ لَذَّةِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يُعْتَدِ
وَرَجَاءُ نُورٍ مُقْبِلٍ وَأَمَانِ وَسَعَادَةٍ يَأْتِينَهَا فِي آنِ
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ مَكَانَ ٱلْمَوْعِدِ حَيْرَى ٱلنَّوَاظِرِ وَٱلنُّهَى [12] لَا تَهْتَدِي
سَمِعَتْ خُطًى بِٱلْقُرْبِ ثُمَّ وَرَى [13] لَهَا بَرْقٌ وَأُخْمِدَ فِي ٱلظَّلَامِ فَهَالَهَا
وَبَدَا لَهَا خَلَلَ ٱلضِّيَاءِ خَيَالُ ذَاكَ ٱلْحَبِيبِ كَأَنَّهُ تِمْثَالُ
فَٱشْتَدَّ خَفْقُ فُؤَادِهَا مُتَوَزِّعاً بَيْنَ ٱلْمَهَابَةِ وَٱلْمُنَى مُتَصَدِّعَا
وَكَأَنَّ ذَاكَ ٱلْبَارِقَ ٱللَّمَّاعَا سَيْفٌ مَضَى فِيهِ فَطَارَ شُعَاعَا
فَهَوَتْ لِسَاعَتِهَا وَقَرَّتْ نَاعِمَه وَقَضَتْ لُبَانَتَهَا [14] وَمَاتَتْ نَاعِمَه
فَتَحَ ٱلْغَرَامُ لَهَا بِتِلْكَ ٱلنَّظْرَةِ بَابَ ٱلنَّعِيمِ ٱلسَّرْمَدِيِّ فَمَرَّتِ

•

وَرَأَتْ عُيُونُ ٱلنَّائِمِ ٱلسَّهْرَانِ مَا قَدْ جَرَى فِي هَضْبَةِ ٱلْبُسْتَانِ
فَأَشَارَ أَنْ يُؤْتَى بِذَاكَ ٱلْحَارِسِ مِنْ حَيْثُ كَانَ مِنَ ٱلظَّلَامِ ٱلدَّامِسِ
فَأَتَوْا إِلَيْهِ بِهِ كَظِيماً شَاحِباً قَلِقَ ٱلنَّوَاظِرِ حَائِراً لَا هَائِباً
فَرَنَا إِلَيْهِ كَمَا يُضِيءُ ٱلْكَوْكَبُ إِذْ شُقَّ عَنْهُ مِنْ بَعِيدٍ غَيْهَبُ

وَعَلَى مُحَيَّاهُ ٱبْتِسَامُ عِتَابِ   كَٱلْكَهْرَمَانِ مُغَبَّرًا بِتُرَابِ
« مَا هٰكَذَا يَا أَصْدَقَ ٱلْخُفَرَاءِ   شَأْنُ ٱلشُّجَاعِ مُصَاهِرِ ٱلْأُمَرَاءِ
سَبَقَ ٱلْحِمَامُ إِلَى ٱلْعَرُوسِ فَنَالَهَا   وَأَخَذْتَ مِنْهَا ظِلَّهَا وَخَيَالَهَا
لٰكِنْ رَأَيْتُكَ سَامِيَ ٱلْأَغْرَاضِ   كَلِفًا بِصَوْنِ طَهَارَةِ ٱلْأَعْرَاضِ
وَجَزَاءُ هٰذِي ٱلْخَلَّةِ [١٥] ٱلْإِكْرَامُ   فَٱجْلِسْ وَحَادِثْنِي وَلَا ٱسْتِعْظَامُ »
أَمَّا ٱلْفَتَى فَأَقَامَ غَيْرَ مُبَالِي   مَا كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ
وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ جَلْمَدِ   نُحِتَتْ مِثَالًا لِلذُّهُولِ ٱلْمُجْمَدِ

•

وَأَشَارَ رَبُّ ٱلْقَصْرِ نَحْوَ ٱلْبَابِ   فَإِذَا فَتًى آتٍ مِنَ ٱلْحُجَّابِ
وَبِكَفِّهِ فِنْجَانُ تِبْرٍ [١٦] فَاخِرُ   قَدْ فَاحَ مِنْهُ نَشْرُ بُنٍّ عَاطِرُ
فَدَنَا مِنَ ٱلْحَرَسِيِّ وَٱلْفِنْجَانُ   ضَحِكُ ٱلْبَيَاضِ يَثُورُ مِنْهُ دُخَانُ
فَتَحَرَّكَ ٱلْجُنْدِيُّ حِينَ تَنَسَّمَا   ذَاكَ ٱلشَّذَا [١٧] وَرَأَى ٱلْغُلَامَ تَقَدَّمَا
وَتَنَاوَلَ ٱلْفِنْجَانَ ثُمَّ تَفَطَّنَا   لِمَقَالِ سَيِّدِهِ وَأَدْرَكَ مَا عَنَى
فَثَوَى عَلَى ٱلْكُرْسِيِّ جِلْسَةَ مَالِكِ   لَا جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ ٱلْمُرَوَّعِ ٱلْهَالِكِ
مُتَرَشِّفًا فِنْجَانَهُ مُتَمَهِّلَا   كَتَرَشُّفِ ٱلسِّكِّيرِ كَأْسًا مِنْ طِلَا
حَتَّى إِذَا ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلْأَسْقَامُ   وَتَقَسَّمَتْ أَحْشَاءَهُ ٱلْآلَامُ
وَأَكَبَّ مُنْطَوِيًا عَلَى أَمْعَائِهِ   مُتَلَوِّيَ ٱلْأَعْضَاءِ مِنْ بُرَحَائِهِ

رَمَزَ [18] ٱلْمَلِيكُ فَرَنَّ خَلْفَ سِتَارِ ... نَغَمٌ جَرَى بِيَدٍ عَلَى أَوْتَارِ
مَزْجٌ مِنَ ٱلْأَحْزَانِ وَٱلْأَفْرَاحِ ... مُرْدٍ [19] كَمَزْجِ ٱلسُّمِّ فِي ٱلْأَقْدَاحِ

آب ١٩٠٢

١ هادىء . ٣ في أسفله . ٣ صوت . ٤ جلس . ٥ كناية عن اللسان . ٦ المتقادين . ٧ اسد . ٨ الملك . ٩ الظئر : المرضع ، وتكون عند الشرقيين مربية رضيعها تلزمه الى الكبر . ١٠ شدة الاذى . ١١ الظلام . ١٢ العقل . ١٣ ظهر . ١٤ نالت مشتهاها من اللقاء . ١٥ الصفة . ١٦ ذهب . ١٧ الرائحة . ١٨ اشار . ١٩ قاتل .

نيرون

في المقدمة التي مهّد بها الشاعر لهذه المعلقة ، عند تلاوتها لأول مرة عام ١٩٢٥ ، نعتها بأنها « أجرأ ما حاولته قريحة شاعر في الشرق » و« اكبر قصيدة متحدة الروي ومتحدة الموضوع عرفتها العربية . » شاء بها الشاعر – على قوله في المقدمة نفسها – ان يتبين الى اي حدّ تتمادى قدرة الناظم في قصيدة مطولة ذات غرض واحد يلتزم لها رويّاً واحداً ، « حتى اذا بلغتُ ذلك الحد بتجربتي بينت عندئذ لاخواني من الناطقين بالضاد ضرورة نهج مناهج اخر لمجاراة الامم الغربية فيما انتهى اليه رقيّها شعراً وبياناً . »

لكن مدار هذا كله على ناحية القالب الشعري في القصيدة . ورأينا ان موضوعها هو الاعظم اهمية . وموضوعها على قول شاعرها في مقدمته ، هو « سيرة ذلك العاتي نيرون ، ووصف ما اتاه من المنكرات . وفيها افتن ما سوّد به قرطاس من مساوىء حكم الفرد . وأشد ما جرى به قلم على الشعب المسكين . »

ولئن كان الشاعر قد تساءل قائلاً : « وما ادري اية قيمة لهذه القصيدة سوى العدد ؟ » فحسبنا في الجواب أنها بتنوع صورها ودقة تفاصيلها ، وبعد الشوط الذي تطويه ، وقوة العظة

فيها ، وحرارة الحقد على الطغاة ، تعتبر من افخم ما صيغ على قالب الشعر القديم وضُمِّن جديداً من الحسّ والفكر والتصوير ، بلغ بها الشاعر اوجه في هذا الفن الذي كاد ان يكون خاصة له ، عنينا تمثيل الطغاة والطغيان .

وقد اجزنا لنفسنا في نشر هذه القصيدة ان نقسمها اقساماً ونغمرها بعناوين لم يجعلها الشاعر في الاصل . وما قصدنا الا ان نسهل على القارىء تناول هذه المعلقة الفخمة واستيعابها حق استيعاب .

صورة نيرون

ذَلِكَ ٱلشَّعْبُ ٱلَّذِي آتَاهُ نَصْرَا   هُوَ بِالسُّبَّةِ مِنْ « نَيْرُونَ » أَحْرَى
أَيَّ شَيْءٍ كَانَ « نَيْرُونُ » ٱلَّذِي   عَبَدُوهُ ؟ كَانَ فَظَّ ٱلطَّبْعِ غِرَّا
بَارِزَ ٱلصُّدْغَيْنِ رَهْلاً بَادِناً   لَيْسَ بِالْأَتْلَعِ [1] ذِي مُسْبَطِرَّا
خَائِبَ ٱلْهِمَّةِ خَوَّارَ ٱلْحَشَى   إِنْ يُوَاقِفْ لَحْظَهُ بِاللَّحْظِ فَرَّا
قَزَمَةٌ [2] هُمْ نَصَبُوهُ عَالِياً   وَجَثَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ ذَا ٱشْمَخَرَّا
ضَخَّمُوهُ وَأَطَالُوا فِيهِ   فَتَرَامَى يَمْلَأُ ٱلْآفَاقَ فَجْرَا [3]
مَنَحُوهُ مِنْ قُوَاهُمْ مَا بِهِ   صَارَ طَاغُوتاً [4] عَلَيْهِمْ أَوْ أَضَرَّا
يُكْثِرُ ٱلْإِعْصَارَ [5] هَدْماً وَرَدًى   إِنْ يُكَاثِرْهُ وَمَا أَوْهَاهُ صَدْرَا

مَدَّ فِي ٱلْآفَاقِ ظِلّاً جَائِلاً   هُوَ ظِلُّ ٱلْمَوْتِ أَوْ أَعْدَى وَأَضْرَى
إِنْ رَسَا فِي مَوْضِعٍ طَمَّ ٱلْأَسَى   أَوْ مَضَى فَاظْعَنْ بِسَيْفِ ٱللهِ بَتْرَا
مُتْلِفاً لِلزَّرْعِ وَٱلضَّرْعِ مَعاً   تَارِكاً فِي إِثْرِهِ ٱلْمَعْمُورَ قَفْرَا

نيرون يستهل عهده مترفقاً ثم يتجاسر على الشعب

إِنَّمَا يَبْطِشُ ذُو ٱلْأَمْرِ إِذَا   لَمْ يَخَفْ بَطْشَ ٱلْأُولَى وَلَّوْهُ أَمْرَا
سَاسَ «نَيْرُونُ» بِرِفْقٍ قَوْمَهُ   مُسْتَهِلّاً عَهْدَهُ بِٱلْخَيْرِ دَثْرَا [6]
مُسْتَشِيراً فِيهِمِ ٱلْحَذْرَ إِلَى   أَنْ بَلَا [7] ٱلْقَوْمَ ذَا رَاجِعَ حِذْرَا
ضَارِباً فِيهِمْ بِكَفٍّ مَرَّةً   بَاسِطاً كَفَّيْهِ بِٱلْإِحْسَانِ مَرَّا [8]
لَانَ حَتَّى وَجَدَ ٱللِّينَ بِهِمْ   فَجَفَا ثُمَّ عَتَا ثُمَّ ٱفْطَرَّا [9]
لَبِسَ ٱلْحِلْمَ لَهُمْ حَتَّى إِذَا   آنَسَ ٱلْحِلْمَ بِهِمْ مِنْهُ تَعَرَّى
وَٱنْتَحَى يُرْهِقُهُمْ خَتْراً فَمَا   عَاقِلٌ فِي مَعْقِلٍ يَأْمَنُ خَتْرَا [10]
بَادِئاً تَجْرِبَةَ ٱلْبَأْسِ بِمَنْ   هُوَ مِنْ أَهْلِيهِ فِي ٱلْأَدْنَيْنَ إِصْرَا [11]
لَمْ يُشَفِّعْهُمْ لَدَيْهِ أَنَّهُمْ   أَعْلَقُ ٱلنَّاسِ بِهِ قُرْبَى وَصِهْرَا
مُسْتَبِيحاً بَعْدَهُمْ كُلَّ ٱمْرِئٍ   رَابَهُ سُمّاً وَإِحْرَاقاً وَنَحْرَا
مِنْ مَوَالِينَ وَنُدْمَانٍ لَقُوا   حَتْفَهُمْ حَيْثُ رَجَوْا سَيْباً مُبِرَّا [12]
وَأُولِي عِلْمٍ عَلَى تَأْدِيبِهِ   أَنْفَقُوا مِنْ عِلْمِهِمْ مَا جَلَّ ذُخْرَا

حَذِرُوهُ شَرَّ مَا يُعْقِبُهُ   بَغْيُهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ لَوْمًا وَنُشْرًا ١٣
فَأَبَاحُوا خَطَأً أَنْفُسَهُمْ   وَأُولِي الْأَلْبَابِ أَعْيَانًا وَغُثْرًا ١٤

زوال ماضي روما الأبي

ظَنَّ فِي الْجُمْهُورِ أَعْدَاءً لَهُ   مُلِئَتْ أَكْبَادُهُمْ ضِغْنًا وَذُعْرًا ١٥
كَاظِمِينَ الْغَيْظَ خَائِفِينَ إِلَى   أَنْ يَلُوا فِي وَجْهِهِ الْعُدْوَانَ جَهْرًا
نَاكِبِي الْهَامَاتِ حَتَّى يُشْهَدُوا   فِي إِبَاءِ النَّادِرِينَ الصُّغْرِ صُغْرًا ١٦
مِنْ غَيَابَاتِ الدُّجَى أَبْصَارُهُمْ   تَطْلُبُ النُّورَ وَتَأْبَى أَنْ تَقِرَّا
فِئَةٌ شُكْسٌ غُلَاةٌ طَالَمَا   نَاوَأُوا الْحُكْمَ وَهَاجُوا الْقَوْمَ نَارًا ١٧
قَتَلُوا « تَرْكِينَ » فِي دَعْوَاهُمُ   أَنَّهُ يُسْرِفُ فِي السُّلْطَانِ حُكْرًا ١٨
وَأَثَابُوا بِالرَّدَى « قَيْصَرَ » إِذْ   أَخْضَعَ الدُّنْيَا لَهُمْ بَرًّا وَبَحْرًا
أَصَحِيحٌ أَنَّ « رُومَا » حَفِظَتْ   مِنْ جَلَالِ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ غُبْرًا ؟ ١٩
لَمْ يَخِلْ ذَلِكَ « نِيرُونُ » وَلَمْ   يَرَ مَنْ يَأْمَنُهَا يَأْمَنُ وِتْرًا ٢٠

نيرون يدبر الهلاك لامه

عَدِّ عَنْ ذَلِكَ وَاذْكُرْ قَتْلَهُ   أُمَّهُ كَمْ عِظَةٍ فِي طَيِّ ذِكْرَى
هِيَ أَرْدَتْ عَمَّهُ مِنْ أَجْلِهِ   وَأَرَتْهُ كَيْفَ أَخْذُ الْمُلْكِ قَهْرًا

وَرَعَتْهُ حَاكِمًا حَتَّى إِذَا   شَجَرَتْ بَيْنَهُمَا ٱلْعِلَّاتُ شَجْرَا [٢١]
وَرَأَى ٱلشِّرْكَةَ فِي سُلْطَانِهِ   وَهْنًا وَٱلْضَّجَ تَقْيِيدًا وَحَجْرَا
سَخَّرَ ٱلْفُلْكَ لَهَا تُغْرِقُهَا   فَنَجَتْ وَٱلْغَوْرُ لَا يُدْرَكُ سَبْرَا [٢٢]
فَتَبَاكَى خُدْعَةً ، لَكِنَّهَا   لَمْ يَفُتْهَا مَا وَرَاءَ ٱلْبَيْنِ عَبْرَى [٢٣]
فَٱصْطَفَى مِنْ جُنْدِهَا مُؤْتَمَنًا   خَائِنًا يَأْخُذُهَا بِٱلسَّيْفِ غَدْرَا
وَلِفَضْلٍ فِي نُهَاهَا ٱسْتَشْعَرَتْ   غِيلَةَ ٱلْوَغْدِ إِذِ ٱلْبَارِقُ [٢٤] ذَرَّا
لَحْظَةً فِيهَا ٱسْتَبَانَتْ هَوْلَ مَا   إِثْمُهَا أَمْسِ عَلَيْهَا ٱلْيَوْمَ جَرَّا
غَيْرَ أَنَّ ٱلْخَوْفَ مِنْهَا لَمْ يَقَعْ   مَوْقِعًا يُزْرِي إِذَا مَا ٱلْخَوْفُ أَزْرَى
فَأَشَارَتْ قُبُلًا [٢٥] لَمْ تَحْتَشِمْ   وَلَهَا وِقْفَتُهَا تِيهًا وَجَبْرَا
ثُمَّ قَالَتْ : دُونَكَ ٱلْبَطْنَ ٱلَّذِي   نَكَبَ ٱلدُّنْيَا بِهِ فَٱبْقُرْهُ [٢٦] بَقْرَا

سياسة نيرون : الدس والتفرقة ورشوة الجيش واغداق النعم على اهل الحظوة

هَكَذَا ٱلْبَاغِي ، عَلَى جُبْنٍ بِهِ ،   بَدَأَ ٱلْبَغْيَ وَبِٱلْفَتْكِ تَضَرَّى [٢٧]
يَخْتِلُ ٱلنَّاسَ فُرَادَى فَإِذَا   أَجْمَعُوا رَأْيًا أَدَارَ ٱلطَّعْنَ نَثْرَا
مَنْ يَجِدْهُ مُمْكِنًا أَصْمَى [٢٨] ، وَمَنْ   لَمْ يَجِدْهُ مُمْكِنًا مَنَّى فَأَغْرَى
مُسْتَطِيلًا مَا ٱشْتَهَى فِي بَغْيِهِ   قَائِلًا مَا ٱسْتَطَاعَ لِلرَّأْفَةِ : قَصْرَا [٢٩]
غَالَ مَنْ غَالَ بِهِمْ فِي شُبْهَةٍ   بَلْ كَفَى أَنْ خَالَ حَتَّى ٱقْتَصَّ وَغْرَا [٣٠]

وَأَدَّى ٱلْوِزْرَ وَقَاضَى وَقَضَى   غَيْبَةً ، إِنْ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُ وِزْرَا [٣١]
وَبَنُو « رُومَا » سُجُودٌ حَوْلَهُ   رُكَّعٌ رَاضُونَ مَا سَاءَ وَسَرَّا
لَوْ عَلَوْا كَالْمَدِّ فِي بَحْرٍ طَغَى   ثُمَّ طَوْهُ رَادَ ٱلْمَدُّ جَزْرَا
كُلَّمَا كَفْكَفَهُ نَاهِي ٱلنُّهَى   عَنْ أَذَاهُمْ جَرَّأُوهُ فَتَجَرَّى
لَيْسَ بِالتَّارِكِ فِيهِمْ جَهْدَهُ   لِسِوَى أَعْوَانِهِ جَاهاً وَأَزْرَا [٣٢]
أَفْسَدَ ٱلْقَوْمَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ   فَإِذَا ٱلْأَخْفَرُ [٣٣] مَنْ كَانَ ٱلْأَبَرَّا
وَإِذَا ٱلْأَوْفَى خَؤُونٌ وَإِذَا   حَسَنُ ٱلنُّكْرِ [٣٤] قُبَيْلاً سَاءَ نُكْرَا
وَإِذَا كُلُّ وَلَاءٍ عَامِرٍ   تَحْتَهُ مَفْسَدَةٌ تَحْفُرُ حَفْرَا
ظَلَّ فِي ٱلْإِرْهَابِ حَتَّى خَفَّ ، مِنْ   قَذْفِهِمْ ، فِي رَوْعِهِ [٣٥] مَا كَانَ وَقْرَا
فَأَنْثَنَى مُنْشَرِحاً صَدْراً كَأَنْ   لَمْ يَجِئْ مِنْ شَنَعِ ٱلتَّنْكِيلِ صَدْرَا [٣٦]
كُلَّ يَوْمٍ يَمْنَحُ ٱلْجَيْشَ حِبًى [٣٧]   وَعَطَايَا جَمَّةً تُبْذَرُ بَذْرَا
كُلَّ يَوْمٍ يَصِلُ ٱلشَّعْبَ بِمَا   لَيْسَ يَبْغِي لِاسْتِيَاءٍ فِيهِ جَبْرَا [٣٨]
كُلَّ يَوْمٍ يَنْتَدِي ، حَيْثُ ٱنْتَدَى [٣٩]   لِلْمَلَاهِي قَوْمُهُ ، صُبْحاً وَعَصْرَا
فَأَحَبُّوهُ لِهَذَا وَنَسُوا   مَا بِهِمْ حَلَّ مِنَ ٱلْأَرْزَاءِ غَزْرَا [٤٠]
وَجَرَى فِي كُلِّ شَوْطٍ آمِناً   وَتَمَلَّى ٱلْعَيْشَ بَعْدَ ٱلْخَوْفِ طَثْرَا [٤١]
أَخْطَرَ ٱلْأَمْنُ « قَلِيقُولَا » عَلَى   بَالِهِ ، وَٱلْهَزْرُ قَدْ يُعْقِبُ هَزْرَا [٤٢]

سلف نيرون : قليقولا الذي عيّن حصانه عضواً في مجلس الاعيان الروماني

أَفَتَدْرِي مَنْ « قَلِيقُولَا » وَمَا سَامَهُ ٱلرُّومَانَ مُسْتَخْذِينَ بُهْرَا ؟ ٤٣
أَفَتَدْرِي أَيَّ حُكْمٍ جَائِرٍ ذٰلِكَ ٱلطَّاغِي عَلَى ٱلرُّومَانِ أَجْرَى ؟
أَفَتَدْرِي مَا ٱلَّذِي كَلَّفَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ ضَحِكاً مِنْهُمْ وَسُخْرَا ؟ ٤٤
يَوْمَ أَمْسَى غَيْرَ مُبْقٍ بَيْنَهُمْ مِنْ أُسُودِ ٱلْخِدْرِ مَنْ يَعْصِمُ خِدْرَا ٤٥
وَثَنَى ٱلْأَعْيَانَ فِي نَدْوَتِهِمْ طَوْعَ كَفَّيْهِ أَأَحْلَى أَمْ أَمَرَّا
فَتَوَى أُفْعُولَةً لَمْ يَنْوِهَا غَيْرُهُ مِنْ قَبْلُ مَهْمَا يَكُ جَسْرَا ٤٦
لَوْ أَسَرَّتْ نَفْسُ أَشْقَى ظَالِمٍ بَعْضَهَا ، أَخْجَلَهُ مَا قَدْ أَسَرَّا
ذَاكَ أَنْ وَلَّى عَلَيْهِمْ « قُنْصُلًا » فَرَساً مِنْ خَيْلِهِ أَصْهَبَ تَرَّا ٤٧
مَرِنَ ٱلْأَرْسَاغِ ، مِمْرَاحاً يُرَى ، قَارِحاً أَوْ فَوْقَهُ إِنْ هُوَ فَرَّا ٤٨
كَانَ فِي ٱلْخَيْلِ أَبُوهُ مُعْرِباً بَيِّناً نِسْبَتُهُ وَٱلْأُمُّ حِجْرَا ٤٩
رَحْبَ شِدْقٍ ، لَاهِزاً مَاضِغَهُ ، لَاحِبَ ٱلْمَتْنِ ، ٱسْتَوَى خَلْقاً وَأَسْرَا ٥٠
مُشْرِفَ ٱلْعُنْقِ ، ضَلِيعاً ، هَيْكَلَا لَمْ يُبَالِغْ فِيهِ مَنْ سَمَّاهُ عُمْرَا ٥١
طَالَمَا ٱسْتَعْصَى عَلَى مُلْجِمِهِ فِي ٱلصِّبَى ، ثُمَّ عَلَى ٱلْأَيَّامِ قَرَّا
وَبَدَا فِيهِ وَقَارٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ خَفَّاقاً إِذَا حُمِّلَ وِقْرَا ٥٢
رِيضَ لِلطَّاغِي ، وَأَوْهَى عَزْمَهُ كِبَرُ ٱلسِّنِّ ، فَمَا يَسْطِيعُ كِبْرَا

وَغَدَا فِي ظَنِّ مَوْلَاهُ بِهِ — دَمِثاً، لَا خَوْفَ مِنْ أَنْ يَحْذَرَا ٥٣
دَانِياً حَاجِبُهُ مِنْ وَقْبِهِ، ٥٤ — لَيِّناً جَانِبُهُ عُسْراً وَيُسْرَا
مُذْعِناً، يَصْلُحُ لِلْإِقْرَارِ فِي — مَجْلِسِ الْأَشْيَاخِ مَحْمُوداً مُقِرَّا
فَلِهَذَا اخْتَارَهُ صِنْواً لَهُمْ — وَهْوَ لَا يَحْسَبُهُ أَحْدَثَ كُفْرَا
لَمْ يَكَدْ يَأْمُرُ حَتَّى اسْتَبَقَتْ — زُمَرٌ تَهْتِفُ فِي النَّدْوَةِ بُشْرَى
بَشَّرُوا الْأَعْيَانَ بِالنِّدِّ الَّذِي — صَدَرَ الْأَمْرُ بِهِ، قُدِّسَ أَمْرَا
ثُمَّ وَافَى، بِالْجَوَادِ الْمُجْتَبَى، — سَاسَةٌ قَدْ أُلْبِسُوا خَزّاً وَشَذْرَا ٥٥
فَدَنَا مُسْتَأْنِساً لَكِنَّهُ — مُوشِكٌ لِلرَّيْبِ أَنْ يَبْعُدَ نَزْرَا
سَاكِناً آناً، وَآناً نَزِقاً، — يَفْحَصُ الْمَوْقِفَ أَوْ يَهْمُرُ هَمْرَا ٥٦
مُرْخِياً عُذْراً طِوَالاً كَرُمَتْ — عِنْدَ مَنْ لَا يُرْسِلُونَ الْعُذْرَ عُذْرَا ٥٧
بَيْنَمَا يُسْبِلُ أُذْنَيْهِ، وَقَدْ — جَحَظَتْ عَيْنَاهُ، إِذْ يَرْنُو مُصِرَّا ٥٨
أَوْشَكُوا أَنْ يَحْزَنُوا، ثُمَّ بَدَا — فَإِذَا مَا ظَنَّ مِنْ حُزْنٍ تَسَرَّى ٥٩
وَانْبَرَى مِنْ فَوْزِهِ أَرْغَبُهُمْ — فِي رِضَى الْغَاشِمِ يَسْتَرْضِي الطِّمِرَّا ٦٠
زَاعِماً مَوْلَاهُ يَبْلُو وُدَّهُمْ — بِالَّذِي أَهْدَى وَلَا يُضْمِرُ حَقْرَا ٦١
وَأَتَمَّ الْأُنْسَ دَاعُونَ دَعَوْا — لِلْجَوَادِ الشَّيْخِ: أَجْلِلْ بِكَ مُهْرَا
لَمْ يَكُنْ مُهْراً، وَكَمْ مِنْ فِرْيَةٍ — بُذِلَتْ فِي خِطْبَةٍ لِلْوُدِّ مَهْرَا
يَا لَهُ طِرْفاً بَنَى الْحَظُّ لَهُ — فِي «بَنِي أَعْوَجَ» عِزّاً وَسِبَطْرَى ٦٢

دَارَتِ ٱلْجَلْسَةُ فِي حَضْرَتِهِ … فَأَدَارَ ٱلذَّيْلَ فِي جَنْبَيْهِ خَطْرَا
وَلَهُ سَامِعَتَا مَنْ لَمْ يَثِقْ … وَلَهُ بَاصِرَتَا مَنْ قَلَّ مَكْرَا
إِنْ أَطَالُوا جَدَّ رَفْساً ، وَإِذَا … أَقْصَرُوا حَمْحَمَ تَأْنِيباً وَزَجْرَا
وَإِذَا حَرَّكَ رَأْساً أَكْبَرُوا … وَحْيَهُ ، لِلّٰهِ ذَاكَ ٱلْوَحْيُ دُرّاً !
كَانَ إِمْراً شَأْنُهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ … وَقَدِيماً كَانَ شَأْنُ ٱلْجَهْلِ إِمْرَا ٦٣
عَظَّمُوا طِرْفاً ، وَقَبْلاً عَبَدَتْ … أُمَمٌ ، مِنْ جَهْلِهَا ، ثَوْراً وَهِرّاً
ذَاكَ إِبْدَاعُ « قَلِيغُولا » فَهَلْ … دُونَهُ «نِيرُونُ» فِي ٱلْإِبْدَاعِ حَجْرَا ٦٤
سَنَرَى ، إِنْ هُوَ لَمْ يَضْرَ بِهِ ، ٦٥ … مَا ٱلَّذِي يَفْعَلُهُ ٱلْقَوْمُ لِيَضْرَى ؟

الطغيان يمشي والجهل يداً بيد

لَا سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ يَا جَهْلُ فَكَمْ … سُقِّيَتْ فِي كَأْسِكَ ٱلْأَقْوَامُ مُرّاً
أَنْتَ أَغْرَيْتَ بِظُلْمٍ كُلَّ ذِي … صَوْلَةٍ ، غَيْرَ مُبَالٍ أَنْ يُمَرَّا
وَسِعَتْ أُمُّ ٱلْقُرَى ذَاكَ ٱلَّذِي … عَقَّهَا حَمْداً كَمَا لَوْ كَانَ بَرّاً
إِنْ يُكَلِّمْهُ ٱلْأَغَرُّونَ بِهَا … فَٱمْتِدَاحاً ، أَوْ يُكَلِّمْهُمْ فَهُجْرَا
فَمَضَى فِي غَيِّهِ وَٱسْتَرْسَلَتْ ، … فِي مَجَالِ ٱلذُّلِّ ، تَحْبِيذاً وَشُكْرَا
أَلْهَتْهُ ، أَوْهَمَتْهُ أَنَّهُ … مَالِكُ ٱلضُّرِّ ، مَنِيعٌ أَنْ يُضَرَّا
فَإِذَا أَوْضَعَ فِي تَقْطِيعِهِ … بَرَّأَتْهُ آبِياً أَنْ يَتَبَرَّا ٦٦

الأمة تتملق ونيرون يتدلل

بَلَغَ ٱلتَّمْلِيقُ مِنْهَا أَرَبَا   كُلَّمَا أَزْرَى بِهَا شَدَّتْهُ أَزْرَا
كُلَّ يَوْمٍ يَدَّعِي فَنًّا ذَا   هُوَ إِلَّا أَنْ نَوَى حَتَّى أَقَرَّا
قَالَ : بِي حُسْنٌ فَقَالَتْ : وَبِهِ   يَا فَقِيدَ ٱلشِّبْهِ ، فُقْتَ ٱلنَّاسَ طُرًّا
فَتَرَقَّى ، قَالَ : إِنِّي مُطْرِبٌ   فَأَجَابَتْ وَتُعِيدُ ٱلصَّحْوَ سُكْرَا
فَتَمَادَى ، قَالَ : فِي ٱلتَّصْوِيرِ لِي   غُرَرٌ ، قَالَتْ : وَتُؤْتِي ٱلرَّسْمَ عُمْرَا
فَتَعَالَى ، قَالَ : فِي ٱلتَّمْثِيلِ لَا   شِبْهَ لِي ، قَالَتْ : وَتُحْيِي ٱلْمَيْتَ نَشْرَا
فَتَنَاهَى ، قَالَ : إِنِّي شَاعِرٌ   فَأَجَابَتْ : إِنَّمَا تَنْظِمُ دُرَّا

نيرون تأخذه هوسة بالفن فيسافر الى اثينا ممثلا

فَعَرَتْهُ جِنَّةٌ زَانَتْ لَهُ   خُطَّةً أَدْهَى عَلَى ٱلْمُلْكِ وَأَزْرَى
أَزْمَعَ ٱلرِّحْلَةَ فِي مَوْكِبِهِ   جَاشِمًا شُقَّتَهَا بَحْرًا وَبَرًّا
مُوَلِّيًا شَطْرَ « أَثِينَا » وَجْهَهُ ،   إِنَّهُ كَانَ لِأَهْلِ ٱلْفَنِّ شَطْرَا
يَتَوَخَّى قَوْلَهَا فِي حَقِّهِ   إِنَّهُ أَصْبَحَ فِي ٱلتَّمْثِيلِ نَخْرَا ٦٧
وَكَفَى مَنْ شَهِدَتْ يَوْمًا لَهُ   شُهْرَةً تُولِيهِ فِي ٱلْأَقْطَارِ زَخْرَا ٦٨
فَمَضَى فِي أَيِّ حَشْدٍ حَاشِدٍ   يَدَعُ ٱلرَّحْبَ مِنَ ٱلسَّاحَاتِ ضَجْرَا ٦٩

بَعْدَ أَنْ أَوْفَدَ رُسْلاً كُلِّفُوا   فِي «أَثِينَا» دَعْوَةَ ٱلنَّاسِ وَسَفْرَا ٧٠
يَبْتَغِي إِشْهَادَهَا فِي مَحْفِلٍ   حُسْنَهُ ٱلطَّالِعَ فِي ٱلظَّلْمَاءِ بَدْرَا
مُسْمِعاً سُمَّارَهَا مِزْهَرَهُ   عَارِضاً تَمْثِيلَهُ بَطْناً وَظَهْرَا
إِيْ، وَآيَاتِ «أَثِينَا» كَانَ مِنْ   شَأْنِهَا أَنْ تَمْنَحَ ٱلْأَخْطَارَ دَهْرَا ٧١
ذَاكَ إِذْ كَانَتْ هِيَ ٱلدَّارَ وَإِذْ   كَانَتِ ٱلدُّنْيَا لِتِلْكَ ٱلدَّارِ قُطْرَا
إِنَّمَا أَمْسَتْ «أَثِينَا» عَمَلاً   دَاخِلاً فِي دَوْلَةِ «ٱلرُّومَانِ» قَسْرَا ٧٢
فَإِذَا مَا أُلْفِيَتْ شَارِيَةً   بَعْضَ أَمْنٍ بِٱلثَّنَاءِ ٱلزُّورِ يُشْرَى
أَوْ بَدَتْ سَاخِرَةً مِنْ نَفْسِهَا   تُطْرِئُ ٱلْجَهْلَ وَمَا كَانَ لِيُطْرَا
فَكَذَاكَ ٱلرِّقُّ يُدْنِي مِنْ عُلَى   وَيُعِيدُ ٱلْأَمَةَ ٱلْحُرَّةَ عُرْى ٧٣
ذَاكَ تَأْوِيلُ ٱلْحَفَاوَاتِ ٱلَّتِي   وَهَبَتْهَا ٱلْقَيْصَرَ ٱلْمُمْتَاحَ فَخْرَا ٧٤
فَقَضَى مَأْرَبَهُ ثُمَّ ٱنْثَنَى   بِرِضَى مَنْ فَعَلَ ٱلْفِعْلَةَ بِكْرَا
لَيْسَ «آفُلُونُ» لَوْ نَاظَرَهُ   بِمُصِيبٍ مِنْهُ غَيْرَ ٱللَّمْحِ شَزْرَا ٧٥

عودته الى روما واحتفاها به ونيته ان يقيم زينة باحراق المدينة

عَادَ بِٱلْيُمْنِ وَكُلٌّ مُضْمِرٌ   حَزَناً لٰكِنَّهُ يُظْهِرُ سُرًّا
فَتَلَقَّاهُ «بِرُومَا» أَهْلُهَا   كَتَلَقِّي فَاتِحٍ فَتْحاً أَغَرَّا

« قَيصَرُ » ٱلأَكبَرُ لَمْ يُحْمَلْ لَهُ   هٰكَذَا ، إِذْ دَوَّخَ ٱلدُّنيَا وَكَرَّا [76]
نَصَبُوا ٱلأَبْوَابَ إِكْبَاراً لَهُ   وَأَحَاطُوا رَكْبَهُ بِٱلْجَيشِ مَجْرَا [77]
وَأَقَامُوا زِينَةً جُنْحَ ٱلدُّجَى   جَلَّلَتْ « رُوماً » سَمَاوَاتٍ وَزُهْرَا [78]
زِينَةً مَا شَهِدَ ٱلْخَلْقُ لَهَا   قَبْلَ ذَاكَ ٱلْعَهْدِ شِبْهاً يُتَحَرَّى [79]
خَلَبَتْهُ وَٱسْتَفَزَّتْ رُوعَهُ [80]   فَطَوَى ٱللَّيلَ وَقَدْ أَضْمَرَ أَمْرَا
لَيُجِدَّنَّ [81] بِهَا مُعْجِزَةً   تُرْهِبُ ٱلأَعْقَابَ مَا ٱلنَّجْمُ أَزْهَرَا
جَامِعاً فِيهَا ٱلأَفَانِينَ ٱلَّتِي   يَدَّعِي إِتْقَانَهَا عِلْماً وَخُبْرَا
مُخْرِجاً أَشْجَى سَمَاعٍ لِلْوَرَى   مِنْ لَهِيبٍ يَسْدُرُ ٱلأَبْصَارَ [82] سَدْرَا
مُغْرِباً حُسْناً وَفِي مَذْهَبِهِ   أَنَّ خَيرَ ٱلْحُسْنِ مَا يُفْهَمُ شَرَّا
فَتَقُومُ ٱلزِّينَةُ ٱلْكُبْرَى بِمَا   بَعْدَهُ لَا تَذْكُرُ ٱلزِّينَاتُ صُغْرَى

النار تشب في روما

فَازَ « نَيْرُونُ » بِأَقْصَى مَا ٱشْتَهَى   مُحْرِقاً « رُومَا » لِيَسْتَبْدِعَ فِكْرَا
بَعْدَ أَنْ حَصَّلَ فِي تَمْثِيلِهِ   مَا بِهِ أَصْبَحَ فِي ٱلتَّمْثِيلِ شُهْرَا [83]
شُبَّتِ ٱلنَّارُ بِهَا لَيْلاً وَقَدْ   رَقَدَتْ أُمَّتُهَا وَسْنَى وَسَكْرَى
شُعْلَةٌ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ نَهَضَتْ   وَمَشَتْ دَفّاً [84] ، وَإِحْضَاراً ، وَعَبْرَا
زَحَفَتْ رَايَةٌ مُضْرَمَةٌ   تَلْتَقِيهَا فِي عِنَاقِ ٱلْوَهْجِ أُخْرَى

جَمَعَتْ أَقسَامَ « رُومَا » كُلَّهَا فِي جَحِيمٍ تَصْهَرُ ٱلْأَجسَامَ صَهْرَا
فَالْمَبَانِي تَتَهَاوَى وَٱلْجُذَى [٨٥] تَتَرَامَى وَٱلدُّمَى تَنْتَضُ جَمْرَا
وَٱلْأَنَاسِيُّ [٨٦] حَيَارَى ذُهَّلٌ غَامَرُوا هَوْلًا وَسَاءَ ٱلْهَوْلُ غَمْرَا
خَوْضُ فِي ٱلْوَقْدِ إِلَّا نَفَراً تَخِذُوا ٱلْأَشْلَاءَ فَوْقَ ٱلْوَقْدِ جِسْرَا
وَٱلضَّوَارِي ٱنْطَلَقَتْ لَا تَأْتَلِي مَا ٱلْتَقَتْ عَضّاً وَتَمْزِيقاً وَكَسْرَا
هَجَمَتْ لِلْفَتْكِ ثُمَّ ٱنْهَزَمَتْ فَزِعَاتٍ سَارِيَاتٍ كُلَّ مَسْرَى
كَثُرَ ٱللَّحْمُ شِوَاءً حَوْلَهَا وَتَأَبَّتْ بَعْدَ جَهْدِ ٱلصَّوْمِ فِطْرَا
تَتَهَادَى مُهْرَاقاً دَمُهَا وَبِهَا ضَعْضَعَةُ ٱلنَّازِفِ خَمْرَا [٨٧]

نهر التبر في غمرة اللهب

دَفَقَ « ٱلتِّبْرُ » ضِيَاءً وَدَماً مُسْتَفِيضَ ٱللُّجِّ يَاقُوتاً وَتِبْرَا
كَانَ بِٱلْأَمْسِ كَمِرْآةٍ صَفَتْ رُبَّمَا كَدَّرَهَا ٱلطَّائِرُ نَقْرَا
تَلْتَقِي فِيهَا صُرُوحٌ عَبَسَتْ قَاتِمَاتٍ وَرُبًى تَبْسِمُ خُضْرَا
فَإِذَا مَرَّتْ نُسَيْمَاتٌ بِهَا حَطَّمَتْهَا قِدَداً زَبَداً [٨٨] وَغَرَّا
حَبَّذَا عِنْدَئِذٍ مَنْظَرُهَا مَنْظَراً « وَٱلتِّبْرُ » فِي ٱلْأَنْهَارِ نَهْرَا
إِذْ تَرَى ٱلْأَمْوَاجُ فِيهِ أَعْرَضَتْ مَائِلَاتٍ صَفَحَاتِ ٱلْمَاءِ سِحْرَا
كَجَوَادٍ سَابِحَاتٍ خُرَّدٍ سَابِقَاتٍ فِي تَبَارِيهَا وَحَسْرَى

لَاهِيَاتٍ ، مُغْرِبَاتٍ ضَحِكاً ، آمِنَاتٍ لَمَحَاتِ ٱلرَّيْبِ طُهْرَا
أَرْسَلَ ٱلْحُسْنُ عَلَى أَكْتَافِهَا مِنْ ضَفِيرِ ٱلزَّبَدِ ٱلْمُذْهَبِ شَعْرَا
كُلُّ غَيْدَاءَ رَدَاحٍ نَاوَحَتْ بِيَدٍ عَبْراً وَبِالْأَخْمَصِ عَبْرَا ٨٩
هِيَ نَوْرُ ٱلرَّوْضِ أَوْ أَزْهَى حُلًى وَهِيَ غُصْنُ ٱلرَّنْدِ أَوْ أَرْشَقُ خَصْرَا
تَارَةً تَبْدُو وَطَوْراً لَا تُرَى وَتَنَاهِي ٱلظَّرْفِ إِذْ تَرْفُضُ ذُرًا ؟ ٩٠
أَيْنَ تِلْكَ ٱلْعِينُ ، هَلْ حَالَتْ إِلَى جِنَّةٍ وَارْتَدَّ بَرْدُ ٱلْمَاءِ سُعْرَا ؟ ٩١
أَصْبَحَتْ سُودَ سَعَالٍ سَاقُهَا سَاقُ يُوسِعُهَا حَتّاً وَنَهْرَا ٩٢
فِي مُسُوحٍ مِنْ قُتَارٍ يُجْتَلَى أُرْجُوَانٌ تَحْتَهَا مِنْ حَيْثُ تُذْرَى ٩٣
عَادَ صَافِي ٱللَّوْنِ مِنْهَا رَنِقاً وَضَحُوكُ ٱلْوَجْهِ مِنْهَا مُكْفَهِرَّا
شَرِقَتْ لِمَآتُهَا أَصْبِغَةً وَرَنَتْ أَعْيُنُهَا ٱلنَّجْلَاءُ خُزْرَا ٩٤
صَارَ غِسْلِيناً حَمِيماً غِسْلُهَا كَاسِباً مِنْ حَرِّ مَا جَاوَرَ حَرَّا ٩٥
أَيُّ بَنَاتِ ٱلْمَاءِ غَبْنٌ بَيِّنٌ أَنْ تُرَيْ سُوداً وَمَا أَبْهَاكِ شُقْرَا
ذَاكِ مَا أَحْدَثَهُ ٱلْبَغْيُ وَهَلْ أَدْرَكَ ٱلصَّفْوَ فَلَمْ يُرْدِدْهُ كَدْرَا ؟

•

قَامَ سُورٌ حَوْلَ « رُومَا » سَاطِعٌ نَاشِراً أَعْلَامَهُ كُمْتاً وَصُفْرَا ٩٦
تَحْتَ جَوٍّ مُلِئَتْ أَرْجَاؤُهُ مِنْ تَلَظِّيهَا قَتَاماً مُسْبَكِرَّا ٩٧
يَنْظُرُ ٱلنَّاشِمُ فِي أَقْسَامِهَا حِذْقَهُ رَسْماً وَمُوسِيقَى وَشِعْرَا

وخيل لنيرون انه صنع صنيعاً فنياً بما أضرم من نار في العاصمة. خال نفسه يرسم لوحات باهرة ويوقع موسيقى شجية وينظم شعراً رائعاً . ومن هنا وجدنا الشاعر في الاجزاء التالية من القصيدة يقف بالطاغية لدى مشهد الحريق موقف من يستطلع فنون فنه شعراً وتصويراً وسماعاً موسيقياً .

نيرون يتصور الحريق شعراً وكواسر طير يفترس بعضها بعضاً

أَتَرَى تِلْكَ ٱلْأَعَارِيضَ ٱلَّتِي فُرِّقَتْ أَبْيَاتُهَا شَطْراً فَشَطْرَا؟
أَتَرَى ٱلتَّرْصِيعَ فِي أَسْوَاقِهَا بِالطِّلَى سُحْماً وَبِالْأَرْؤُسِ حُمْرَا؟ ٨٩
أَتَرَى ٱلتَّدْبِيجَ فِي أَلْوَانِهَا مُعْقِباً مِنْ بِيضِهَا زُرْقاً وَعُفْرَا؟
أَتَرَى ٱلْخَالِدَ مِنْ أَطْلَالِهَا كَيْفَ يُطْوَى بَعْدَ أَنْ يُنْشَرَ نَشْرَا؟
أَتَرَى ٱلْوَرْيَ بِلَا تَوْرِيَةٍ نَاسِخاً تَارِيخَهَا عَصْراً فَعَصْرَا؟ ٩٩
كَمْ مَقَامٍ عَطِلَتْ زِينَتُهُ زَانَهُ فِي ٱلْعَيْنِ أَنْ يُضْحِيَ إِثْرَا
كَمْ كِتَابٍ بَرَزَتْ أَحْرُفُهُ سَاطِعَاتٍ وَلِسَانُ ٱلنَّارِ يَقْرَا
كُلُّ قَصْرٍ مُتَدَاعٍ شَيَّدَتْ بَعْدَهُ هَازِئَةُ ٱلْأَنْوَارِ قَصْرَا
كُلُّ بُرْجٍ مُتَرَامٍ حَفَرَتْ بَعْدَهُ فِي عُمُقِ ٱلظَّلْمَاءِ بِئْرَا
كُلُّ كِبْرٍ فِي ٱلْمَبَانِي رَفَعَتْ فَوْقَهُ سُخْرِيَةُ ٱلشُّعْلُولِ كِبْرَا ١٠٠
هَوَتِ ٱلْعِقْبَانُ عَنْ أَنْصَابِهَا وَغَدَا مِنْهَا ٱللَّظَى رُخّاً وَنَسْرَا
وَتَرَامَتْ شُعَلٌ طَائِرَةٌ قَدْ تَرَى عُصْفُورَهَا يَصْطَادُ صَقْرَا
وَتَرَى مِنْهَا فَرَاشاً نَاحِلاً يَضْرِبُ ٱلْبَاشَقَ أَوْ يَهْدِمُ وَكْرَا

وَتَرَى مِنهَا هُلاماً بَشِعاً　　غائِلاً فَرخاً وَلا يَرحَمُ ظِئرا ١٠١
وَيحَ « رُوما » تَزدَهي ذاكِيَةً　　وَعُيُونُ اللَّيلِ بِالرَّحمَةِ شَكرى ١٠٢
لَم يَجِدْ « نيرُونُ » أبهى فَلَجاً ١٠٣　　مِنْ تَشَظِّيها وَلا أعذَبَ ثَغرا
لا وَلَمْ يُفعِمهُ بِشراً حَدَثٌ　　كالَّذي أفعَمَهُ إذْ ذاكَ بِشرا
غايَةُ الإضحاكِ ما ألفاهُ مِنْ　　فَزَعِ الصّالِينَ ١٠٤ يَبغُونَ مَفَرّا
وَالإشاراتِ الَّتي يُبدُونَها　　فِي تَعادِيهِمْ ١٠٥ إلى يُمنى وَيُسرى
كَرِعالِ الجِنِّ رَقصاً فِي اللَّظى　　وَالمَجانِينِ مُناباةً وَهُترا ١٠٦
رُبَّ عارٍ بِقُرُوحٍ يَكتَسي　　وَبَتُولٍ ١٠٧ تَحتَ سِترِ الوَهجِ تَعرى
وَهَزِيمٍ ١٠٨ وَثَبَتْ أعيُنُهُ　　وَضَرِيرٍ مُتَلَوٍّ حَيثُ قَرّا
وَنَحِيفٍ باتَ ظِلّاً واجِفاً　　وَضَلِيعٍ ١٠٩ ماتَ تَحتَ الرَّدمِ هَطرا

ثم يتصور الحريق رسماً

فِتَنُ النّارِ إذا ما أذهَبَتْ　　فِي أفانِينِ الأذى يَأبَيْنَ حَصرا
وَمِنَ المُتَعِ فَوقَ المُشتَهى　　بِدَعٌ جاءَ بِها التَّنوِيعُ تَترى ١١٠
هٰذِهِ قَنطَرَةٌ شاهِقَةٌ　　غارَ مِنها جانِبٌ فِي الماءِ طَمرا ١١١
ذاكَ صَرحٌ جُرِّدَتْ أطلالُهُ　　مِنْ حُلِيٍّ كُنَّ مِلءَ العَينِ سِبرا ١١٢
تِلكَ مِنْ عَهدٍ عَهِيدٍ دَوحَةٌ　　ظَلَّ يَسقِيها سَحابُ العَفوِ ثَرّا ١١٣

عقدت أغصانها تاج سنى وخبت بين مدلاة وكسرى ١١٤

ثم حول وجهة الطرف تجد صوراً أسوغ في النفس وأمرى ١١٥

نمر، من فرط ما حاق به، دار آناً في مدار ثم خرا

سال من فكيه دامي زبد حين مس الأرض نشت منه حرى ١١٦

فهد غاب كبرت شرته صار كالهر وما يرهب فأرا ١١٧

وعل من شدة البرح ارتمى ببقايا روقه ينطح صخرا ١١٨

ورل أفلت من جحر فلم يلف من شيء سوى الرمضاء جحرا ١١٩

قنفذ أوقد من أشواكه شكة لاحت بها الألوان كثرا ١٢٠

عقرب شالت زباني رأسها والذنابى عجلت خلجاً وأبرا ١٢١

شبه برق لاح للطرف ولم يك إلا أفعواناً مستجهرا ١٢٣

صور، لم يدر آيات سنى أم خشاش حية تسجر سجرا ١٢٣

وسوى ذلك كم من منظر لابس الوهم به الحق فغرا

كم مهاة من دخان ألفيت وهي تستعدي على فيل هزبرا ١٢٤

كم سبنتى ١٢٥ حنق أقرضه ضرم ناباً به يسطو وظفرا

كم غراب قد تبدى واقعاً كشهاب وتردى مصمقرا ١٢٦

كم عقاب درجت فانضرجت ١٢٧ بغتة تقتنص البازي حرا

كم سحاب من هباء ١٢٨ ساطع أشبه المزنة إيماضاً وقطرا

ثم يتصوره سماعاً موسيقياً

رُؤْيَةٌ أَرَبَتْ عَلَى ٱلرُّؤْيَا بِمَا   لَمْ يَكُنْ يَوْماً بِظَنٍّ لِيُمَرَّا
دَارَ فِيهَا طَرَبٌ مُخْتَلِفٌ   تَارِكٌ فِي مَسْمَعِ ٱلْأَحْبَابِ وَقْرَا ١٢٩
تَرْكُضُ ٱلْأُمُّ تُغَنِّي هَلَعاً   وَبَنُوهَا حَوْلَهَا يَبْكُونَ ذُعْرَا
وَيَهُدُّ ١٣٠ ٱلْكَهْلَ هَدَّ ٱلْفَحْلِ فِي   غَرَقٍ وَٱلْوَقْدُ لَا يَأْلُوهُ هَدْرَا
كَادَ رَحْبُ ٱلْجَوِّ مِنْ حَشْرَجَةٍ ،   وَحَوَافِيهِ ٱلرُّبَى ، يُشْبِهُ قِدْرَا
فِي ٱخْتِلَاطٍ مُرْهِقٍ سُمَّاعَهُ   وَٱخْتِلَالٍ مُرْهِقٍ حَشْداً وَحَشْرَا
سَرَحَاتٌ قُصِفَتْ مُحْضَأَةً   بَيْنَ مَنْكُوسَةِ إِكْلِيلٍ وَعَقْرَى ١٣١
رُجْبَةٌ مِنْ عَوْسَجٍ مُحْتَدِمٍ   فَنِيَتْ ضَرْبَيْنِ لَأْلَاءً وَوَغْرَا ١٣٢
ضَبُعٌ تَعْوِي وَذِئْبٌ ضَابِحٌ   وَصَدًى يَزْقُو مَهِيجاً مُزْبَئِرَّا ١٣٣
ضَيْغَمٌ مِنْ سَوْرَةِ ٱلْحُمَّى وَمِنْ   ثَوْرَةِ ٱلْحَمْيِ بِهِ يَزْأَرُ زَأْرَا ١٣٤
طَالَمَا زَمْجَرَ يَشْكُو أَسْرَهُ   فَهْوَ يَشْكُو أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ أَسْرَا
ثَعْلَبٌ يَضْغُو وَفَهْدٌ ضَاغِبٌ   وَغُرَابٌ نَاغِبٌ عَشْراً فَعَشْرَا ١٣٥
وَمِنَ ٱلْأَكْلُبِ حَامِي بِرْكَةٍ   مَسَّ بَعْدَ ٱلْقُرِّ بِالْحَرِّ فَهَرَّا ١٣٦
مَا سَمُومٌ نَفَخَتْهَا سَقَرٌ   تَنْسِفُ ٱلدَّوْحَ وَتُذْوِي ٱلْعُشْبَ صَفْرَا ١٣٧
خَافَتَتْ آناً وَآناً عَزَفَتْ   وَتَوَالَى هَزْقُهَا عَزْماً وَفَتْرَا ١٣٨
عِنْدَمَا فِي مَارِجٍ مِنْ لَاعِجٍ   بَثَّهُ بَثّاً وَقَدْ ضُوِيقَ حَصْرَا ١٣٩

ما اصطخاب اللج في حيرته ... بين تيار ودردور ومجرى ١٤٠

كاصطخاب من وطيس هادم ... لم يصن تاجاً ولم يستثن جذرا ١٤١

ذاك يا « نيرون » لحن زاده ... طرباً مزهرك الرائع نبرا ١٤٢

جمع الضدين لم يجتمعا ... في مزاج يفطر الأكباد فطرا ١٤٣

بين أصوات على نكرتها ... جعلت وفقهما خفضاً وجهرا ١٤٤

هيكل يسقط في قهقهة ... وذماء [١٤٥] من حشى يصعد زفرا

هكذا التصوير أحيا ما يرى ... هكذا التطريب موتاً أو أحرى

هز بالإيقاع أفلاكاً ولم ... يصحب العود به طبلاً وزمرا

هكذا الشعر بلا قافية ... خف وزناً وجرى بالدم بحرا

عظمت فتنته من فرط ما ... رق فالناس أرقاء وأسرى

لا كنايات ولا تورية ... إنما العاجز من كنى وورى ١٤٦

من « كنيرون » أتى بالرسم لم ... يستعر صبغاً له أو يجر حبرا ١٤٧

مثبتاً في ليلة مبصرة ... آية يمحو بها قوماً ومصرا

بينما تنظر ربعاً أهله ... ما لهذا الكون إذ تلفيه صفرا ١٤٨

يا لها غر فنون بهرت ... ظرفاء الوقت بالإبداع بهرا

أين منها شأن مفني عمره ... يتهرى [١٤٩] الخلق أو يقرأ سفرا ؟

ليراه بعد جهد محسناً ... إن شدا أو متقناً إن خط سطرا

عتاب الشاعر للطاغية على غلوه في صنيعه الفني

دُمِّرَتْ حَاضِرَةُ ٱلدُّنْيَا وَلَمْ   يَجِدِ ٱلنَّاجُونَ فِي ذَلِكَ نُكْرَا
أَوَشَكَوْا أَنْ يُجْمِعُوا رَأْياً عَلَى   أَنَّ فِي ٱلْغَيْبِ لِذَاكَ ٱلْهَوْلِ سِرَّا
لَسْتُ مَحْزُوناً عَلَى ٱلْقَوْمِ وَهَلْ   كَبِدٌ تُلْقَى عَلَى ٱلْأَنْذَالِ حَرَّى
غَيْرَ أَنِّي لِيَ عَلَى إِبْدَاعِهِ   عَتْبَ فَنٍّ وَهُوَ بِٱلْإِبْدَاعِ أَدْرَى
فَلَقَدْ أَغْرَقَ فِي إِيقَاعِهِ   وَغَلَا رَسْماً وَزَادَ ٱلنَّظْمَ نَثْرَا
وَلَعَلَّ ٱلْهَفْوَةَ ٱلْأُخْرَى لَهُ   أَنَّهُ لَمْ يَعْتَدِلْ نَقْشاً وَحَفْرَا
ذَاكَ هَمِّي لَيْسَ هَمِّي بَلَداً   بَادَ خَنْقاً أَوْ تَوَى حَرْقاً وَثَبْرَا ١٥٠
مَا عَلَيْنَا مِنْ غَرِيمٍ غَارِمٍ   إِنَّ أَزْرَى ٱلْخَلْقِ شَعْبٌ مَاتَ صَبْرَا ١٥١
لَيْسَ بِٱلْكُفْءِ لِعَيْشٍ طَيِّبٍ   كُلُّ مَنْ شَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَيْشُ حُرَّا

روما هي التي صنعت نيرونها

إِنَّ « رُومَا » جَعَلَتْ « نَيْرُونَهَا »   وَهُوَ شَرُّ ٱلْقَوْمِ مِمَّا كَانَ شَرَّا
بَلَغَتْهُ ٱلْمُلْكَ عَفْواً فَبَغَى   كُلُّ مُلْكٍ جَاءَ عَفْواً رَاحَ هَدْرَا
يَقْدُرُ ٱلشَّيْءَ مَعَانِي كَسْبِهِ   فَإِذَا مَا هَانَ كَسْباً هَانَ خُسْرَا
عَاثَ فِيهَا مُسْتَبِدّاً مُسْرِفاً   دَائِبَ ٱلْإِجْرَامِ عَوَّاداً مُصِرَّا

وَهْوَ لَا يَمْنَحُهَا مِنْ بَالِهِ   غَيْرَهُمَ ٱلْخَطَرِ ٱلْمَكْسُوبِ قِرَا ١٥٢
لَيْسَ فِي تَشْنِيعِهِ مِنْ بِدْعَةٍ   إِنَّ لِلْخَامِلِ عِنْدَ ٱلذِّكْرِ ثَأْرَا
لَا وَلَا فِي ظُلْمِهِ مِنْ عَجَبٍ   إِنَّ لِلظَّالِمِ عِنْدَ ٱلْعَدْلِ وِتْرَا ١٥٣

نيرون يتهم النصارى باحراق المدينة

بِمَ غَرَّ ٱلْقَوْمَ حَتَّى غَفَرُوا   ذَلِكَ ٱلذَّنْبَ لَهُ مَا شَاءَ غَفْرَا ؟
بَلْ قَضَوْا أَنْ يَمْنَحُوهُ حَمْدَهُمْ   حَيْثُ لَا يَجْدُرُ أَنْ يُبْلِغَ عُذْرَا ١٥٤
ذَاكَ أَنْ أَتْهَمَ ظُلْماً مِنْهُمْ   مَعْشَراً مُسْتَضْعَفَ ٱلْجَانِبِ نَزْرَا ١٥٥
فَرَمَى مِلَّةَ « عِيسَى » بِٱلَّذِي   كَانَ مِنْهُ مُلْحِقاً بِٱلْوِزْرِ وِزْرَا
زَاعِماً أَنَّ ٱلنَّصَارَى قَارَفُوا   ذَنْبَهُ، مَا كَانَ أَنْآهُمْ وَأَبْرَا ١٥٦
وَٱلنَّصَارَى فِئَةٌ يَوْمَئِذٍ   لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ مِنَ ٱلْمِعْشَارِ عُشْرَا
مَا بِهَا حَوْلٌ وَلَا طَوْلٌ وَلَا   تَقْتَنِي جَاهاً وَلَا تَمْلِكُ وَفْرَا ١٥٧
لَا تُبَالِي دُونَ مَنْ تَعْبُدُهُ   جُهْدَ مَا تُمْنَى بِهِ خَسْفاً وَعُسْرَا ١٥٨
دِينُهَا فِي فَجْرِهِ وَٱلسُّحْبُ قَدْ   تَحْجُبُ ٱلنُّورَ وَلَا تَعْتَاقُ فَجْرَا
عَنَّ لِلْغَاشِمِ أَنْ يُطْعِمَهَا   لِجِيَاعِ ٱلْوَحْشِ فِي ٱلْمَلْعَبِ جَهْرَا
وَبِهَذَا يَتَرَضَّى شَعْبَهُ   فَرْطَ مَا ٱلشَّعْبُ بِذَاكَ ٱللَّهْوِ مُغْرَى
فَيَظَلُّ ٱلْبُطْلُ فِيهِ عَالِياً   وَيَظَلُّ ٱلْحَقُّ عَنْهُ مُسْتَسِرَّا ١٥٩

أَمَرَ ٱلطَّاغِي بِهَا فَٱحْتَشَدَتْ فِي مَقَامٍ زَاخِرٍ بِٱلْخَلْقِ زَخْرَا
وَرَمَاهُمْ بِٱلضَّوَارِي قَرِمَتْ فَٱرْتَمَتْ مَجْنُونَةً وَثْبًا وَجَأْرَا ١٦٠
فَتَلَقَّاهَا ٱلنَّصَارَى وَهُمْ لَمْ يَضِقْ إِيمَانُهُمْ بِٱلضَّيْمِ حَجْرَا ١٦١
سُجَّدٌ، شَادُونَ، سَامٍ طَرْفُهُمْ، ضَاحِكُو ٱلْآمَالِ مَا ٱلْخَطْبُ ٱكْفَهَرَّا ١٦٢
بَرْبَرَتْ تِلْكَ ٱلضَّوَارِي دُونَهُمْ ثُمَّ شَدَّتْ وَهْيَ لَا تَرْحَمُ شَفْرَا ١٦٣
هَشَمَتْ وَٱنْتَهَشَتْ وَٱفْتَرَسَتْ مَا ٱشْتَهَتْ نَهْمَتُهَا عَظْمًا وَهَبْرَا ١٦٤
ثُمَّ كَانَتْ شِبَعًا وَٱفْتَرَقَتْ فِي ٱلزَّوَايَا تَتَوَخَّى مُسْتَقَرَّا
سَكِرَ ٱلْأَشْهَادُ إِعْجَابًا بِهَا وَهَوَتْ مَمْلُوءَةً بِالدَّمِ سُكْرَا
ذَاكَ مَا رَامَ بِهِ « نَيْرُونُ » أَنْ يَتَلَافَى إِثْمَهُ ٱلْأَوَّلَ سَتْرَا
وَإِذَا مَا ٱسْتَبَدَّ ٱلْجَهْلُ، غَلَا آثِمٌ فِي ٱلْإِثْمِ لَا يَرْهَبُ عَزْرَا ١٦٦
شِيمَةُ ٱلْمُوغِلِ فِي إِجْرَامِهِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱنْطِلَاقًا زَادَ حُضْرَا ١٦٧
شَادَ لِلْإِلْهَاءِ ذَاكَ ٱلْمُنْتَدَى قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ لِلْإِيوَاءِ جُدْرَا ١٦٨
وَٱلْأُولَى زَالَتْ مَبَانِيهِمْ بِمَا شِيدَ لِلْأَلْبَابِ مَحْبُورُونَ حَبْرَا ١٦٨
بِطْءُ يَوْمٍ فِيهِ إِيذَاءٌ بِهِمْ وَهُوَ يَقْضِي فِي بِنَاءِ ٱللَّهْوِ شَهْرَا ١٦٩

الفكرة لا تقهر

خَابَ مَنْ خَالَ ٱلنَّصَارَى هَلَكُوا　　حِينَ رَاحَ ٱلْمَوْتُ فِيهِمْ مُسْتَحِرَّا ١٧٠
فَٱلَّذِي أَوْلَدَهُ ٱلْفَتْكُ بِهِمْ　　أَنَّهُمْ قُلٌّ غَدَوْا بِٱلْقَتْلِ كُثْرَا
ثُمَّ أَضْحَى مُلْكُ « رُومَا » مُلْكَهُمْ　　وَمُوَلَّاهُمْ عَلَى ٱلْأَحْبَارِ حَبْرَا ١٧١
هَكَذَا ٱلْفِكْرَةُ مَنْ أَزْهَقَهَا　　كَمَنَتْ ثُمَّ عَلَتْ وَثْباً فَطَفْرَا

نهاية نيرون انتحاراً

دَرَتِ ٱلْأُمَّةُ مَنْ ظَالِمُهَا　　كُلَّمَا جَرَّ عَلَيْهَا ٱلظُّلْمُ دَفْرَا ١٧٢
وَعَلَى ذَاكَ تَغَابَتْ مَرَّةً　　بَعْدَ أُخْرَى ، وَتَمَادَى مُسْتَدِرَّا ١٧٣
لَوْ أَرَادَ ٱلْقِسْطَ لَمْ يَكْفُؤْ لَهُ　　أَوْ تَصَدَّى لِلْوَغَى لَمْ يَحْمِ ثَغْرَا ١٧٤
فَاتَهُ فِي نَفْسِهِ ٱلسِّرُّ ٱلَّذِي　　يَمْنَحُ ٱلدَّائِلَ مَجْداً مُسْتَمِرَّا ١٧٥
نَتَوَخَّى ٱلْفَخْرَ مِنْ سُخْرِيَةٍ　　مَثَّلَ ٱلدَّهْرَ بِهَا هُزْءاً وَهَزْرَا ١٧٦
لَاهِياً بِٱلنَّاسِ ، قَتَّالاً لِمَنْ　　شَاءَ ، فَعَّالاً لِمَا ٱسْتَحْسَنَ جَبْرَا
لَاعِباً حَتَّى إِذَا ضَاقَ بِهِ　　مَلْعَبُ ٱلدُّنْيَا تَخَطَّاهُ وَمَرَّا
فَقَضَى حِينَ ٱقْتَضَى مُنْتَحِراً　　بِيَدَيْ مُسْتَأْجَرٍ أَوْسَعَ بِرَّا ١٧٧
رَاكِباً مَتْنَ ٱلنَّوَى لَمَّا نَوَى　　ضَارِباً بَيْنَ غَدٍ وَٱلْأَمْسِ سِتْرَا
مُلْقِياً جِسْماً إِلَى أُمَّتِهِ　　خَشِيَتْ حِرْمَانَهُ دَفْناً وَقَبْرَا

سَرَفاً فِي الذُّلِّ حَتَّى أَنَّهَا   لَمْ تَكُنْ تَدْرِي لِمَا تَفْعَلُ قَدْرَا

العبرة

مَنْ يَلُمْ « نَيْرُونَ »؟ إِنِّي لَائِمٌ   أُمَّةً لَوْ كَهَرَتْهُ ارْتَدَّ كَهْرَا ١٧٨
أُمَّةً لَوْ نَاهَضَتْهُ سَاعَةً   لَانْتَهَى عَنْهَا وَشِيكاً وَاْثْبَجَرَا ١٧٩
فَازَ بِالْأُولَى عَلَيْهَا، وَلَهُ   دُونَهَا مَعْذِرَةُ التَّارِيخِ أُخْرَى
كُلُّ قَوْمٍ خَالِقُو « نَيْرُونِهِمْ »   « قَيْصَرٌ » قِيلَ لَهُ أَمْ قِيلَ « كِسْرَى »!

١ الاتلع : طويل العنق . المسبطر : المسرع . ٣ القزمة : القصير . اشمخر : تعالى .
٣ الفجر : الفجور . ٤ الطاغوت : الشيطان . ٥ الاعصار : الزوبعة . ٦ الدثر : الكثير . ٧ بلا : اختبر . ٨ المر : جمع مرة . ٩ اقطر : اشتد . ١٠ الختر : الغدر . ١١ الاصر : العهد . ١٢ السيب : العطاء . المبر : الفائق . ١٣ الشر : المكروه .
١٤ الغثر : عامة الناس ١٥ الدغر : سؤ الخلق ١٦ الصعر : جمع أصعر وهو الذي يميل وجهه الى احد الشقين كبرا . ١٧ النأر : الهياج والفتنة . ١٨ الحكر : الظلم والاستبداد .
١٩ الغبر : البقية . ٢٠ وتره : اصابه بظلم او مكروه، وانتقم منه . ٢١ الشجر : التنازع والخلاف . ٢٢ السبر : التعرف والاختبار . ٢٣ عبرى : دامعة . ٢٤ البارق : السيف . ذر : برز . ٢٥ قبلا : اي من امام . ٢٦ ابقره : شقه . ٢٧ تضرى بالفتك : اولع به وتعوده . ٢٨ أصمى : قتل . ٢٩ قصرا : القصر الكف والمنع . ٣٠ وغرا : الوغر الحقد والضغن والعداوة . ٣١ الوزر : الاثم . ٣٢ الأزر : القوة . ٣٣ الأخفر : الاكثر غدراً . الأبر : الاصدق والاطوع والاحسن معاملة . ٣٤ النكر : الفطنة . ٣٥ الروع : القلب . الوقر : الثقل . ٣٦ الصدر : الطائفة من الشيء . ٣٧ الحبى : جمع حبوة وهي العطية . ٣٨ الحبر . الأثر . ٣٩ انتدى : شهد النادي . ٤٠ الغزر : الكثرة .
٤١ طثرا : رغيداً . ٤٢ قليقولا : امبراطور روماني اشتهر بمظالمه . الهزر : الخرف .
٤٣ سامه أمرا : كلفه اياه . البهر : الغلبة وانقطاع النفس اعياء . ٤٤ السخر : الهزء .

٤٥ خدر الاسد : بيته . ٤٦ الجسر : الشجاع الضخم . ٤٧ أصهب : يخالط بياضه حمرة . ترا : معتدل الأعضاء . ٤٨ الأرساغ : جمع رسغ وهو المفصل بين الساق والقدم . ممراحاً : يقال فرس ممراح أي نشيط . القارح : الذي شق نابه وطلع . فر : كشف عن اسنانه ليعرف كم بلغ من السن . ٤٩ حجرا : من عتاق الخيل . ٥٠ لاهزاً ماضغه : قوي الفرس . لاحب المتن : عريض الظهر . الأمر : قوة الأعضاء . ٥١ ضليع : قوي . هيكل : ضخم . الغمر : الجواد من الخيل ، ٥٢ الوقر : الحمل الثقيل . ٥٣ دمثاً : ليناً . يحذئر : يغضب ويتغيظ . ٥٤ الوقب : نقرة العين ، والوقب في الفرس خاصة : نقرتان فوق عينيه . ٥٥ خزا : الخز من الثياب ما نسج من الصوف والحرير فقط . الشذر : قطع من الذهب . ٥٦ الهمر ، همر الفرس الأرض : ضربها بحوافره شديداً . ٥٧ العذر الاولى والثانية : ما تدلى من الشعر على خدي الفرس . العذر الثالثة : الحجة التي يعتذر بها . ٥٨ مصرا : ناصباً أذنيه . ٥٩ تسرى : انكشف . ٦٠ الطمر : الجواد الطويل القوائم . ٦١ الحقر : الاحتقار والاستصغار . ٦٢ الطرف : الكريم من الخيل . « بني أعوج » : اشارة الى الفرس العربي المشهور . السبطرى : مشية فيها تبختر واختيال . ٦٣ الامر : العجيب المنكر . ٦٤ الحجر : العقل والفطنة . ٦٥ لم يغر به : لم يولع به ولم يلهج به . ٦٦ أوضع : أسرع أي تغلغل وبالغ . ٦٧ النحر : الحاذق الماهر . ٦٨ زخرا : افتخار . ٦٩ ضجراً : ضيقاً . ٧٠ السفر : جماعة من المسافرين . ٧١ الأخطار : يراد بها القاب التشريف . ٧٢ عملا : اي ولاية . ٧٣ عرى : معيبة . ٧٤ المتاح : الملتمس . ٧٥ آفلون : اله الفنون عند الاغريق . ٧٦ الكر : الحمل على العدو والانقضاض عليه ، ومعاودة القتال . ٧٧ الجر : الكثير من كل شيء . ٧٨ الزهر : النجوم . ٧٩ يتحرى : يطلب . ٨٠ الروع : القلب . ٨١ يجد : يخلق ويوجد . ازمهر : لمع وسطع . ٨٢ يسدر الأبصار : يحيرها . ٨٣ الشهر : العالم . ٨٤ الدف : المشي الخفيف . الاحضار : جري الفرس . العبر : المرور فوق الماء . ٨٥ الجذى : الجمرات . الدمى : التماثيل . ٨٦ الأناسي : جمع انسي من الانس اي البشر . ٨٧ النازف : شديد السكر . ٨٨ قدداً : قطعاً . ربداً : مغبرة . ٨٩ غيداء : لينة الاعطاف . الرداح : المرأة الثقيلة الاوراك . ناوحت : عارضت . الاخمص : باطن الرجل . ٩٠ ترفض ذرا : تنتثر قطرات . ٩١ العين : الجميلات العيون . الجنة : الجنيات . السعر : الوقد . ٩٢ السعالى : اثنيات الغيلان . ٩٣ القتار : يراد به الدخان . تفري : تشق . ٩٤ اللمات : شعر مقدم الرؤوس . خزرا : كالاعين الصغيرة المستديرة . ٩٥ الغسلين : الماء الشديد الحر . ٩٦ كمتاً : مختلطة الحمرة بالسواد . ٩٧ مسبكرا : اي منتشرا . ٩٨ بالطلى سحا : بالاعناق سوداً . ٩٩ الوري . اتقاد النار . ١٠٠ الكثر ،

القبة أشبه بالسنام. ١٠١ الظئر: التي تعطف على ولدها من الانسان والحيوان. ١٠٢ ذاكية: مشتعلة . شكرى ممتلئة . ١٠٣ الفلج ، تباعد ما بين الاسنان . تشظيها ، تطايرهـــا شظايا . ١٠٤ الصالين ، المحترقين . ١٠٥ تعاديهم ، تراكضهم . ١٠٦ رعال الجن ، جماعاتها . منابأة ، نبو بعضهم عن بعض . الهتر ، ذهاب العقل . ١٠٧ البتول . عذراء . ١٠٨ الهزيم ، صريع مهزوم . ١٠٩ الضليـــع القوي . الهطر ، الضرب مطلقاً ، والقتل بخشبة . ١١٠ تترى ، متوالية. ١١١ الطمر التغطية ١١٢ السبر، الجمال ١١٣ ثرا، غزيراً. ١١٤ كسرى، متكسرة ١١٥ امرى ، امرأ أي أطيب ١١٦ النشيش ، صوت الغليان ١١٧ شرته، حدته ١١٨ الوعل ، تيس الجبل . الروق ، القرن ١١٩ الورل ، دابة اكبر من الضب. الجحر ، كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها ١٢٠ الشكة ، السلاح ١٢١ الزبابى ، قرن العقرب . الذناني ، الذنب . الخلج ، التحرك . الابر ، اللسع ١٢٢ مسجهرا ، مضطربا ١٢٣ آيات سنى ، قطع من النور . الخشاش ، حية الجبل . تسجر ، توقد ١٢٤ المهاة ، البقرة الوحشية. الهزبر، الاسد ١٢٥ السبنتى، النمر ١٢٦ مصمقرا ، موقدا ١٢٧ انفرجت ، سقطت ١٢٨ الهباء، الغبار ١٢٩ الوقر ، ثقل السمع ١٣٠ يهد، يهدر ١٣١ سرحات، أشجار . محضأة ، مشتعلة . عقرى ، مقطوعة ١٣٢ الرجبة ، ما يبنى تحت النخله ليدعمها. العوسج، شجر شائك . الوغر ، الصوت الشديد ١٣٣ الصدى ، طائر وهو نوع من البوم . مزبئرا ، محتدآ. ١٣٤ الحمي (بفتح الحاء وسكون الميم) : الوقد. ١٣٥ يضغو ،ويضغب ، وينغب ، اي يصوت، وهذه الالفاظ هي اسماء الاصوات لهذه الحيوانات ١٣٦ هر، صوت ١٣٧ سقر، جهنم . الصقر ، شدة الحر ١٣٨ الهزق ، صوت الريح . الفتر ، الضعف ١٣٩ المارج،الشعلة الملتهبة . اللاعج، حرارة القلب ١٤٠ الدردور ، موضع بالبحر يجيش ماؤه ١٤١ الوطيس ، التنور . الجذر ، ما يمتد من اصل النبات في التربة ، وقوله : لم يصن تاجا ولم يستبق جذرا اي لم يبق على عال ولا منخفض ١٤٢ المزهر العود ١٤٣ يفطر ، يشق ١٤٤ نكرتها ، يريد اختلافها ١٤٥ ذماء ، بقية الروح ١٤٦ كنى وورى ، اي ابستعمل الكناية والتورية ، وهما غير التصريح ١٤٧ الصبغ، ما يلون به ١٤٨ صفرا، خاليا ١٤٩ يتقرى ، يتقصى ويتتبع ١٥٠ توى ، قضى. التبر، الهلاك ١٥١ مات صبرا، اي حُبس حتى اذيق الموت ١٥٢ الخطر، الشرف. قمرا، اي بالمعب في القمار ١٥٣ الوتر، الثأر ١٥٤ يبلغ عذرا ، اي يسمع منه العذر ١٥٥ اتهم ورمى بالتهمة . النزر ، القليل ١٥٦ ابرى ، ابرأ ١٥٧ الوفر ، المال الكثير ، ١٥٨ الخسف ، الاذلال . العسر ، ضد اليسر ١٥٩ البطل ، الباطل . المستسر ، المستخفي ١٦٠ قرمت ، نهمت ١٦١ الحجر، الكنف والجانب ١٦٢ اكفهر ، اشتد ١٦٣ شفرا، احدآ ١٦٤ الهبر ، قطع لحم ١٦٥ عزرا ، لوما او عقابا ١٦٦ الحضر ، الجري والعدو ١٦٧ جدر ، جمع جدار ١٦٨ حبرا ، سرورا ١٦٩ ايداء ، اهلاك ١٧٠ مستحرا، مشتدا ١٧١ الحبر ، البطرك والاسقف عند النصارى ١٧٢ الدفر ، الذل ١٧٣ مستشر ، باغياً الشر ١٧٤ القسط، العدل ١٧٥ الدائل، الزائل ١٧٦ الهزر، الضحك ١٧٧ اقتضى، اراد ١٧٨ كهرته ، عبست له وانتهرته ١٧٩ ابجرا ، ارتدع وتراجع

فتاة الجبل الاسود

مثال من الاقدام الباهر والشجاعة الرائعة في مناهضة الفاتح الدخيل طلباً للتحرر القومي. نظمها الشاعر في إبان ثورة الجبل الاسود على الحكم التركي، وجعل بطلتها فتاة على نحو ما فعل في قصيدته: «مقتل بزرجمهر». وجلا صورة قوية لهذه الصبية الثائرة اللابسة لباس الفتيان، وان يكن في المشهد الذي اعلنت فيه الفتاة سر حقيقتها توقف عند وصف النهدين توقفاً يحوّل الشعور من اعجاب فروسي ببأس البطلة الى اعجاب جنسي بجمالها.

وبالطبع، اضطر الشاعر في ظروفه الى تصوير الاتراك، حكام الجبل الاسود صورة مقبولة على أنهم يومئذ غزاة الجبل ومضطهدوه.

طَغَتْ أُمَّةُ ٱلْجَبَلِ ٱلْأَسْوَدِ   عَلَى حُكْمِ فَاتِحِهَا ٱلْأَيِّدِ [1]

وَهَبَّتْ مُنِيخَاتُ أَطْوَادِهَا [2]   نَوَاشِزَ [3] كَٱلْإِبِلِ ٱلشُّرَّدِ

وَأَبْلَى ٱلنِّسَاءُ بَلَاءَ ٱلرِّجَالِ   لَدَى كُلِّ مُعْتَرَكٍ أَرْبَدِ [4]

نِسَاءٌ لِدَانُ ٱلْقُدُودِ لَهَا   خُدُودٌ كَزَهْرِ ٱلرِّيَاضِ ٱلنَّدِي

تَنَظَّمُ مِنْ حُسْنِهَا جَنَّةٌ   عَلَى ذَلِكَ ٱلْجَبَلِ ٱلْأَجْرَدِ

•

وَيَوْمٍ كَأَنَّ شُعَاعَ ٱلصَّبَاحِ   كَسَتْهُ مَطَارِفَ مِنْ عَسْجَدِ [٥]
تَفَرَّقَتِ ٱلتُّرْكُ فِيهِ عَصَائِبَ   كُلٌّ فَرِيقٍ عَلَى مَرْصَدِ
يَسُدُّونَ كُلَّ شِعَابِ ٱلْجِبَالِ   عَلَى نَازِلِيهِنَّ وَٱلصُّعَّدِ
أُسُودٌ تُرَاقِبُ أَمْثَالَهَا   وَلَا يَأْتَقُونَ عَلَى مَوْعِدِ
وَكَانَ عِدَاهُمْ وَهُمْ دُونَهُمْ   بِحَدِّ ٱلْجُنُودِ وَذَاتِ ٱلْأَيْدِ
يُوَافُونَهُمْ بَغَتَاتِ ٱللُّصُوصِ   وَيَرْمُونَ بِٱلنَّارِ وَٱلْجَلْمَدِ [٦]
وَيَفْتَرِقُونَ تُجَاهَ ٱلصُّفُوفِ   وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى ٱلْمُفْرَدِ
وَيَمْتَنِعُونَ بِكُلِّ خَفِيٍّ   عَصِيٍّ عَلَى أَمْهَرِ ٱلرُّوَّدِ
وَأَيٌّ رَأَى شَارِداً يَخْتَلِسْهُ   وَأَيٌّ رَأَى وَارِداً يَصْطَدِ
وَيَلْتَقِمُونَ جَنَاحَ ٱلْخَمِيسِ [٧]   إِذَا ٱلْ[illegible]وْنُ أَعْيَا عَلَى ٱلْمُنْجِدِ
مَنَامُهُمُ جَاثِمِينَ وُقُوفاً   وَلَا يَهْجَعُونَ عَلَى مَرْقَدِ
وَمَا مِنْهُمُ لِلْعِدَى مُرْشِدٌ   سِوَى غَادِرٍ سَاءَ مِنْ مُرْشِدِ
إِذَا لَمْ يَقُدْهُمْ إِلَى مَهْلَكٍ   أَضَلَّ بِحِيلَتِهِ ٱلْمُهْتَدِي
وَيَعْتَسِفُ ٱلتُّرْكُ فِي كُلِّ صَوْبٍ   فَهَذَا يَرُوحُ وَذَا يَغْتَدِي

•

وَمَا ٱلتُّرْكُ إِلَّا فُحُولُ ٱلْحُرُوبِ   رَضِيعُو لَظَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلِدِ
إِذَا أَلْقَحُوهَا ٱلدِّمَاءَ فَلَا   نِتَاجَ سِوَى ٱلْفَخْرِ وَٱلسُّؤْدَدِ
سَوَاءٌ عَلَى ٱلْمَجْدِ أَيًّا تَكُنْ   عَوَاقِبُ مَسْعَاهُمُ تُحْمَدِ
فَإِنْ هُمْ فَازُوا وَإِنْ لَمْ يَفُوزُوا   تَمَادَوْا إِلَى شَأْوِهِ ٱلْأَبْعَدِ
وَلٰكِنَّ قَوْمًا يَذُودُونَ عَنْ   حَقِيقَتِهِمْ [٨] مِنْ يَدِ ٱلْمُعْتَدِي
وَتَعْصِمُهُمْ شَامِخَاتُ ٱلْجِبَالِ   وَكُلُّ مَضِيقٍ بِهَا مُوصَدِ [٩]
وَيَدْفَعُهُمْ حُبُّ أَوْطَانِهِمْ   وَيَجْمَعُهُمْ شَرَفُ ٱلْمَقْصَدِ
إِذَا غَالَبَتْهُمْ جُيُوشُ ٱلْمَنَايَا   تُغَالَبْ وَإِنْ جَاهَدَتْ تُجْهَدِ

•

وَكَانَ مِنَ ٱلتُّرْكِ جَمْعٌ قَلِيلٌ   عَلَى رَأْسِ مُنْحَدَرٍ أَصْلَدِ
كَثِيرِ ٱلثُّلُومِ كَأَنَّ ٱلْفَتَى   إِذَا زَلَّ يَهْوِي عَلَى مِبْرَدِ
وَقَدْ نَصَبُوا فَوْقَهُ مِدْفَعًا   يَهُزُّ ٱلرَّوَاسِخَ إِنْ يُرْعِدِ
وَحَفُّوا كَأَشْبَالِ لَيْثٍ بِهِ   يُدَاعِبُهُ بَعْضُهُمْ بِٱلْيَدِ
فَفَاجَأَهُمْ هَابِطٌ كَٱلْقَضَاءِ   فِي شَكْلِ غَضِّ ٱلصِّبَى أَمْرَدِ
يَدُلُّ سَنَاهُ وَسِيمَاؤُهُ   عَلَى شَرَفِ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَحْتِدِ
تَرُدُّ سَوَاطِعُ أَنْوَارِهِ   سَلِيمَ ٱلنَّوَاظِرِ كَٱلْأَرْمَدِ
أَقَبُّ ٱلتَّرَائِبِ [١٠] غَضُّ ٱلرَّوَادِفِ   يَخْتَالُ عَنْ غُصُنٍ أَمْيَدِ

لَهيبُ ٱلْحُرُوبِ عَلَى وَجْنَتَيْـهِ وَٱلنَّقْعُ[11] فِي شَعْرِهِ ٱلأَسْوَدِ
وَفِي عَيْنِهِ مِثْلُ بَرْقِ ٱلسُّيُوفِ وَظِلُّ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلإِثْمِـدِ
فَأَكْبَرَ كُلُّهُمُ أَنَّـهُ رَآهُ تَجَلَّى وَلَمْ يَسْجُـدِ
وَظَنُّـوهُ مُسْتَنْفِراً هَـارِباً أَتَاهُمْ إِتْيَـانَ مُسْتَنْجِـدِ
وَلَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ ذَا جُرْأَةٍ يُهَاجِمُ جَمْعاً بِـلَا مُسْعِـدِ
وَلٰكِنَّ كَثْرَتَهُمْ لَمْ تَرُعْـهُ فَأَقْدَمَ إِقْـدَامَ مُسْتَأْسِـدِ
وَأَفْرَغَ نَارَ سُـدَاسِيِّـهِ عَلَى ٱلْقَوْمِ أَيّاً تُصِبْ تُقْصِدِ[12]
وَأَقْبَلَ بِٱلسَّيْفِ مَاضِي ٱلْفِرِنْـدِ فَأَيَّانَ يَضْرِبْ بِـهِ يُغْمِـدِ
فَـأَوْدَى بِأَرْبَعَـةٍ مِنْهُـمُ وَلَمْ يَشْفِ مِنْهُ ٱلْفُؤَادَ ٱلصَّدِي[13]
وَكَمْ جَالَدُوا بَطَـلاً قَبْلَهُ فَلَمْ يُبْتَلَوْا بِفَتًى أَجْلَدِ
عَـلَى أَنَّهُمْ أَثْخَنُوهُ جِرَاحـاً وَلَمْ يَسْتَقِرَّ وَلَمْ يُخْلَدِ
وَمَا لَبِثُوا أَنْ أَحَاطُوا بِـهِ فَدَانَ لَهُمْ صَاغِراً عَنْ يَـدِ
وَلَوْلَا ٱتِّقَاءُ ٱلْخِيَانَـةِ فِيـهِ لَكَـانَ ٱلأَلَدُّ لَهُ يَفْتَـدِي

•

فَسِيقَ إِلَى حَيْثُ كَانَ ٱلأَمِيرُ فِي نَفَرٍ مِنْهُمُ مُوفَدِ
فَأَوْقَعَ أَمْراً بِأَنْ يَقْتُلُوهُ بِمَرْأَى ٱلْجُنُودِ غَدَاةَ[14] ٱلْغَدِ
فَأَقْصَى ٱلْفَتَى عَنْهُ حُرَّاسَهُ وَشَقَّ عَنِ ٱلصَّدْرِ مَا يَرْتَدِي

وَأَبرزَ نَهديْ فتاةٍ كعابٍ   بطرْفٍ حَيِيٍّ ووَجهٍ نَدي
كَحُقَّيْ لُجينٍ بقفلَيْ عقيقٍ   وكنزيْنِ في رَصَدٍ مُرصَدِ
فكبَّرَ مِمّا رآهُ ٱلأميرُ   وهلَّلَ كُلٌّ مِنَ ٱلشُّهَّدِ
وراعهمُ ذانِكَ ٱلتوأمانِ   وطوقاهُما مِنْ دمِ ٱلأكبُدِ
ووثبُهما عندما أطلقا   إلى ظاهرِ ٱلدرعِ وٱلمُجسَدِ [15]
كَوثبِ صغارِ ٱلمَها ٱلظامئاتِ   نفرْنَ خفافاً إلى مَوْرِدِ

•

وَأَرختْ ذوائبَ مِنْ شعرِها   كليلةِ ذي كلفٍ مُسهَدِ
ظلامٌ أحاطَ بشمسٍ عراها   سقامٌ فحالَتْ إلى فرقَدِ
وقالتْ خذوا مُهجتي في دماءِ   ثلاثينَ منكُمْ أوْ أزيَدِ
صرعتهمُ كلُّهمْ باسلٌ   مِنَ ٱلنِّكْسِ [16] فيهِمْ إلى ٱلسيِّدِ
وكلُّهمُ طامعٌ في ٱلعُلى   وإلّا ففي موتِ مُستَشهِدِ
ومِنْ خُلُقِ ٱلتُّركِ أنْ يُوردُوا   نِصالَهمُ مُهَجَ ٱلخُرَّدِ [17]
فدونكمُ قتلةً حلَّلتْ   تَدي [18] مِنْ دمائكُمُ ما تَدي
فأصغى ٱلأميرُ إلى قولِها   ولَمْ يُستفزَّ ولَمْ يَحقِدِ
وأعظمَ نفسَ ٱلفتاةِ وبأساً   بِها في ٱلصناديدِ لَمْ يُعهَدِ

وَحُسْناً بُمْشرِكَةٍ دَاعِياً إلَى ٱلشِّرْكِ مَنْ يَرَهُ يَعْبُدِ
وَقَالَ ٱنْقُلُوهَا إلَى مَضْرِبٍ يَعُدُّهَا بِـهِ أَمْهَرُ ٱلْعُوَّدِ
لِتَعْلَمَ أَنَّا إلَى مَجْدِنَا بَرِيْؤُوْنَ مِنْ تُهَمِ ٱلْحُسَّدِ
وَقَـالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مُعْجَباً لَهَا ٱللهُ مِنْ أَسَدٍ أَصْيَدِ
وَمِنْ حُرَّةٍ أَنْ تَكُوْنَ وَلَنْ يَكُوْنَ بَنُوْهَا مِنَ ٱلأَعْبُدِ [19]
فَمَا بَـلَدٌ تَفْتَدِيهِ ٱلنِّسَاءُ كَهٰذَا ٱلْفِـدَاءِ بُمُسْتَعْبَدِ

١ القدير. ٢ جبالها. ٣ ذاهبة كل مذهب. ٤ أغبر . ٥ معدن كريم ٦ الصخر. ٧ الجيش. ٨ وطنهم. ٩ مغلق. ١٠ متقدم الصدر. ١١ دخان الحرب. ١٢ تقتل. ١٣ العطشان. ١٤ صاح. ١٥ سترة الصدر. ١٦ الحقير. ١٧ النساء. ١٨ تكون دية أي عوضاً. ١٩ الارقاء.

حرب غير عادلة ولا متعادلة

لم يعيّن الشاعر أية حرب قصها بالذات . لعلهـــا الحرب البريطـــانية على جنوب افريقية في فاتحـة القرن العشرين . لكن هل من حاجة للتعيين بعد أن نعتها الشاعر « بالحرب غير العادلة ولا المتعادلة بين امة كبيرة وامة صغيرة » ؟ فما اكثر مثل هذه الحرب في الطغيان الاستعماري . وما اروع ما صور به الشاعر في القصيدة وثبة الامة للذود عن استقلالها ، وخوضها غمرات الكفاح . فالامة في هذه القصيدة هي البطل ، لا فرد من أفرادها . وقد لمس الشاعر ما بين الامم المستضعفة من أواصر قربى ، وختمها بتمزيق حادّ لنفاق الاستعماريين ، وما يرددون من « مبادىء مثالية » مع بطشهم بالشعوب الضعيفة .

١

فِيمَ ٱحْتِبَاسُكَ لِلْقَلَمْ وَٱلْأَرْضُ قَدْ خُضِبَتْ بِدَمْ

سَدِدْ قَوِيمَ سِنَانِهِ فِي صَدْرِ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ

نَبِهْ بِهِ أُمَمَ ٱلزَّوَالِ فَمِلَّهُ يُحْيِي ٱلرِّمَمْ

أَلْيَوْمَ يَوْمُ ٱلْقِسْطِ قَدْ قَامَ ٱلْأُولَى ظَلَمُوا فَقُمْ
بَيْنَ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ وَبَيْنَنَا قُرْبَى ٱلنِّقَمْ
مَنْ يَسْتَبِحْهُ عَدُوُّنَا فَلَهُ بِنَا صِلَةُ ٱلرَّحِمْ
لَا أَمْنَ لِلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ وَفِي غَدٍ قَدْ يُهْتَضَمْ

•

قُلْ يَا فَتَى ٱلشُّعَرَاءِ قُلْ لَبَّيْكَ أُمُّ عَصِيِّ ٱلْهِمَمْ
أُدْعُ ٱلْمَخَامِيرَ ٱلشِّبَاعَ إِلَى ٱلْحَفِيظَةِ وَٱلذِّمَمْ
كُلٌّ يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ وَمَنْ تَثَاقَلْ فَلْيَنَمْ
نِمْنَا عَلَى جَهْلٍ وَقَدْ عَاشَ ٱلْكِرَامُ وَنَحْنُ لَمْ
فَإِذَا ٱنْتَضَتْ آجَالَنَا فَمِنَ ٱلرُّقَادِ إِلَى ٱلْعَدَمْ
وَإِذَا بُعِثْنَا بَعْدَهَا فَكَأَنَّهَا رُؤْيَا حُلُمْ

٢

لِمَنِ ٱلْخِيَامُ ذُرَا عَلَى جَبَلٍ لِنَسْرٍ مُعْتَصَمْ
شَرُفَتْ عَلَيْهَا خَيْمَةٌ وَتَفَرَّدَتْ بَيْنَ ٱلْخِيَمْ
بَادٍ بِهَا عَلَمٌ[١] عَلَى دَلَمٍ[٢] أَقَامَ بِهِ عَلَمْ[٣]
شَيْخٌ مِنَ ٱلصَّوَّانِ مَنْ يَمْسَسْهُ يَقْتَدِحِ ٱلضَّرَمْ

مُتَعَوِّدٌ قَهْرَ ٱلْعِدَى   كَٱلنُّورِ فِي كَشْفِ ٱلظُّلَمْ
لَانَتْ عَرِيكَتُهُ لِطُو   لِ مِرَاسِهِ وَقَسَا ٱلْأَدَمْ
تَتَثَلَّمُ ٱلْآفَاتُ مِنْـ   ـهُ بِصَارِمٍ لَا يَنْثَلِمْ
وَبَرِقُ مَشْحُوذاً بِهَا   فَإِذَا أَصَابَ فَقَدْ قَصَمْ
بِمُبَارَكٍ فِي فَيْلَقٍ   مِنْ نَسْلِهِ نَسْلُ ٱلْكَرَمْ
جَيْشٌ وَلٰكِنْ لِلْمُرُو   ءَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَٱلشَّمَمْ
مَقْسُومَةٌ أَخْلَاقُهُ   فِيهِمْ وَنِعْمَ ٱلْمُقْتَسَمْ

•

هٰذَا ٱلرَّئِيسُ وَمِثْلُهُ   فِي ٱلنَّاسِ يَعْظُمُ مَنْ عَظُمْ
وَمِنَ ٱلْمُلُوكِ أَكَابِرٌ   لَا يَصْلُحُونَ لَهُ حَشَمْ
مَا مُيِّزُوا بِسِوَى ٱلْغِنَى   وَٱلْكِبْرِيَاءِ عَنِ ٱلْخَدَمْ
قَدْ قَامَ يَرْتَقِبُ ٱلْعِدَى   كَٱلزَّادِ يَرْقُبُهُ ٱلنَّهِمْ
وَتَحُفُّ أُمَّتُهُ بِهِ   كَصِغَارِ لَيْثٍ فِي ٱلْأَجَمْ
هِيَ أُمَّةٌ مُسْتَحْدَثٌ   تَارِيخُهَا بَيْنَ ٱلْأُمَمْ
مَا شَيَّدُوا مِنْ هَيْكَلٍ   ضَخْمٍ وَلَا رَفَعُوا هَرَمْ
قَلُّوا وَلٰكِنْ أَدْرَكُوا   بِٱلْبَأْسِ شَأْواً لَمْ يُرَمْ

ذَادُوا عَنِ ٱسْتِقْلَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ذَوْدَ ٱلْبُهَمْ ٧
أَرْزَاقُهُمْ حِلٌّ لِطَا لِبِهَا وَمَوْطِنُهُمْ حَرَمْ
شُمٌّ رَوَاسِيهِمْ وَأَنْـ ـفُسُهُمْ وَمَعْطِسُهُمْ أَشَمٌّ

•

يَا يَوْمَ غَارَةِ ذِي ٱلْغُرُورِ ٨ وَقَدْ بَغَى أَمْرًا أَمَمْ
ذِئْبٌ تَوَهَّمَهُمْ نِيَا مًا فِي ٱلْحَظِيرَةِ كَٱلنَّعَمْ
وَإِذَا بِهِ فِي أَسْرِهِمْ شَاةٌ وَشِيعَتُهُ غَنَمْ
لِصٌّ تَوَهَّمَ مَغْنَمًا وَإِذَا ٱلْعُقُوبَةُ مَا غَنِمْ
صَادُوا ٱلْمُسِيءَ وَرَهْطَهُ فِعْلَ ٱلْبُزَاةِ مَعَ ٱلرَّخَمْ
وَجَزَوْهُ بِٱلذُّلِّ ٱلْعَظِيمِ كَذَاكَ يُجْزَى مَنْ لَؤُمْ
ثُمَّ ٱرْتَأَوْا أَنْ يَقْتُلُو هُ بِصَفْحِهِمْ عَمَّا ٱجْتَرَمْ
نِعْمَ ٱلْمُرُوءَةُ لَوْ جَنَتْ غَيْرَ ٱلْإِسَاءَةِ وَٱلنَّدَمْ

٣

مَنْ هٰذِهِ ٱلزَّلَّاءُ قَدْ أَخْنَى بِهَا طُولُ ٱلْعُقُمْ
فِي ٱلسُّحْبِ هَامَتُهَا وَمَوْ طِئُ رِجْلِهَا فَوْقَ ٱلْعَلَمْ
بَرَزَتْ لَهُمْ مِنْ خِدْرِهَا مَهْتُوكَةً لَمْ تَلْتَثِمْ

عِزْدِيلُ مِنْ سُفَّاحِهَا   وَٱلْمُسْتَبِدُّونَ ٱلْغُشُمْ
تَرْنُو لِمَنْ غَشِيَ ٱلْوَغَى [٩]   وَلَهَا بِأَكْلِهِمِ وَحَمْ
تُورِي نَوَاظِرُهَا ٱللَّظَى   وَتَسِيلُ مِنْ فِيهَا ٱلْحُمَمْ
وَلَهَا ذَوَائِبُ مُرْسَلَاتٌ   لِلْكَرَائِهِ وَٱلزِّيَمْ [١٠]
شِبْهُ ٱلْعَثَانِينِ [١١] ٱلْحَوَارِفِ   فِي ٱلْعَصِيبِ [١٢] ٱلْمُدْلَهِمْ
أَنَّى تَمُرُّ فَنَابِعٌ   يَصْدَى [١٣] وَرَاسٍ [١٤] يَنْهَدِمْ
بِئْسَتْ رَسُولُ ٱلشَّرِّ تِلْكَ   وَبِئْسَ وَالِدَةُ ٱلْغُمَمْ [١٥]

٤

وَيْلَ ٱلْقَوِيِّ ٱلْيَوْمَ مِنْ   ذَاكَ ٱلضَّعِيفِ وَقَدْ هَجَمْ
أَتَرَى نُكُوصَ ٱلْمُعْتَدِي   مَلَأَ ٱلْفَلَا مِمَّا ضَخُمْ
مُتَقَهْقِرًا وَهُوَ ٱلَّذِي   فِي بَأْسِهِ لَا يُتَّهَمْ
وَوُثُوبَ أَبْنَاءِ ٱلدِّيَارِ   بِهِ إِلَى حَيْثُ ٱنْهَزَمْ
كَٱلطَّيْرِ إِسْفَافًا   وَكَٱلْحَيَّاتِ زَحْفًا فِي ٱلْأَكَمْ
كَٱلذِّئْبِ لَمْحًا فِي ٱلدُّجَى   كَٱلْحُوتِ خَوْضًا فِي ٱلْعَرِمْ
يَمْشِي ٱلْخَمِيسُ كَوَاحِدٍ   فِي ٱلسَّيْرِ نَحْوَ ٱلْمُلْتَحَمْ
بَأْسٌ بِلَا يَأْسٍ وَحَزْ   مٌ فِي ٱلنِّزَالِ بِلَا لَمَمْ [١٦]

لَا خَوْفَ تَهْلُكَةٍ وَلَا   عَنْ ضُعْفِ نَفْسٍ أَوْ سَأَمْ
لٰكِنْ لِعِزَّةِ مَنْ يَكُونُ   بَدِيلَ أَيْمٍ ٱرْتَطَمْ ١٧
وَلِيُثْبِتُوا وَيُجَدِّدُوا   نَجَدَاتِهِمْ مِنْهُمْ بِهِمْ

•

هٰذَا لِقَاءٌ بُوغِتُوا   فِيهِ بِنَارٍ تَحْتَدِمْ
أُنْظُرْ إِلَى هَطْلِ ٱلْجِمَا   رِ كَأَنَّهُ وَكْفُ ٱلدِّيَمْ ١٨
وَإِلَى ٱلْقَنَابِلِ تَسْتَقِي   مُهَجَ ٱلْجُيُوشِ وَتَلْتَهِمْ
عَمْيَاءُ تُبْصِرُ فِي ٱلْوَغَى   سُبُلَ ٱلْعَدُوِّ فَتَخْتَرِمْ
مَضْمُومَةُ ٱلْفَكَّيْنِ حَتَّى   تَلْتَقِي مَا تَلْتَئِمْ
تَنْقَضُّ وَهْيَ عَوَابِسٌ   حَتَّى تُمِيتَ فَتَبْتَسِمْ
وَٱنْظُرْ جُمُوعَ نِسَائِهِمْ   مِيساً كَبَانَاتِ ٱلْأَكَمْ
غِيدٌ يُغَازِلُهَا ٱلرَّصَا   صُ وَهَلْ لَهُ أَنْ يَحْتَشِمْ
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْأَطْفَالِ تَخْذِفُ   وَهْيَ تَلْعَبُ بِٱلرُّجُمْ
وَإِلَى ٱلشُّيُوخِ تَخَضَّبَتْ   بِدِمَائِهَا مِنْهَا ٱللِّمَمْ
وَٱنْظُرْ إِلَى صَرْعَاهُمُ   كُلٌّ كَصَرْحٍ مُنْهَدِمْ
وَٱنْظُرْ إِلَى فُرْسَانِهِمْ   ثَارُوا كَأَرْيَاحٍ هُجُمْ
وَإِلَى ٱلْمُشَاةِ كَأَنَّهُمْ   سُورٌ يَسِيرُ عَلَى قَدَمْ

وَالذَّاهِبِينَ الآيِبِينَ بِمَا نُهِي وَبِمَا رُسِمْ
وَالقَانِعِينَ الجَاثِمِينَ وَمَنْ يَكُرُّ وَمَنْ يَهِمّ
وَالهَابِطِينَ إِلَى الثَّرَى وَالصَّاعِدِينَ إِلَى القِمَمْ

•

وَاسْمَعْ صَهِيلَ خُيُولِهِمْ مُتَحَنْزِاتٍ لِلْقُحَمْ ١٩
وَزَمَاجِرَ الخُرْسِ الضَّوَا رِي مِنْ مُعِدَّاتِ الأُزُمْ ٢٠
وَالرَّاعِدَاتِ كَأَنَّهَا صَعَقَاتُ مُوسَى فِي القِدَمْ
وَزَئِيرَ آسَادِ الحَدِيدِ وَزَجْرَ فِتْيَتِهَا الهُضُمْ
وَاسْمَعْ صَدَى الأَطْوَادِ تُوشِكُ أَنْ تَصَدَّعَ أَوْ تُصَمّ
وَاسْمَعْ أَنِينَ الأَرْضِ وَاجِفَةً أَسًى مِمَّا تَجِمّ ٢١

•

غَلَبَ القَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ وَعَفَّ عَنْهُ فَمَا انْتَقَمْ
لٰكِنَّهُ مَهْمَا يَفُزْ بُدْءاً يَسُؤْهُ المُخْتَتَمْ
طُفْ فِي قُرَاهُ فَمَا تَرَى مِنْ يَأْسِ كُلِّ أَبٍ وَأُمّ
وَمِنَ الجِيَاعِ الهَائِمِينَ عَلَى الوُجُوهِ مِنَ الأَلَمْ
وَمِنَ الحَبَالَى المُجْهَضَاتِ مِنَ التَّضَوُّرِ وَالسَّقَمْ

وَمن ٱلْيَتَامى فِي ٱلْمُهُودِ عَلى ٱلْمجاعَةِ تَنفَطِمْ
وَمَنَ ٱلْكَوارِثِ بَيْنَهُمْ تَسْتَنُّ كَالْوَبْلِ ٱلرَّذِمْ ٢٢
وَطُفِ ٱلْمَنَاجِمَ كَمْ أَسًى مِنْهَا وَكَمْ خَطْبٍ نَجِمْ
مَفْغُورَةَ ٱلْأَفْوَاهِ طَاوِيَةَ ٱلْحَشَى بَعْدَ ٱلْبَشَمْ ٢٣
يَا لَيْتَهَا غُفُلٌ فَلَا نِقَمٌ هُنَاكَ وَلَا نِعَمْ

•

سُخْطاً عَلَى ٱلظَّلَّامِ أَقْدَرَ مَا نَكُونُ عَلَى ٱلْكَلِمْ
وَلْنَبْكِ مَنْ مَاتُوا وَمَا مِنْهُمْ جَبَانٌ مُنْهَزِمْ
وَلْنَرْثِ لِلضُّعَفَاءِ يُفْنِيهِمْ قَوِيٌّ مُغْتَنِمْ ٢٤
خَطْبٌ رَآهُ ٱلْمُنْصِفُونَ كَأَنَّ أَحْيَاهُمْ صَنَمْ
رَأَوُا ٱلذِّئَابَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَدْرَأُوهَا بِالْحِكَمْ
أَيْنَ ٱلْقَضَاءُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ ٱلْمَمَالِكِ تَخْتَصِمْ
أَيْنَ ٱلْحَقِيقَةُ أَيْنَ إِنْصَافُ ٱلْبَرِيءِ إِذَا ظُلِمْ
مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا شَكَا وَعَلَى ٱلْقَوِيِّ إِذَا أَثِمْ
يَا مَنْ يُدَاجُونَ ٱرْجِعُوا قَدْ خَابَ مَنْ بِكُمُ ٱعْتَصَمْ
لَا تَشْغَلُوا أَذْهَانَكُمْ بِحُقُوقِ شَعْبٍ تُهْتَضَمْ
حَلَفُوا إِذَا لَمْ يَظْفَرُوا لَا عَاشَ مِنْهُمْ مَنْ سَلِمْ

فَدَعُوهُمْ يَحْيَوْنَ أَوْ يَفْنَوْنَ بَرًّا بِٱلْقَسَمْ
وَخُذُوا ٱلضَّمِيرَ فَكَفِّنُوهُ بِٱلْكَرِيمِ مِنَ ٱلشِّيَمْ
وَٱسْتَوْدِعُوهُ تُرَابَهُ مَيْتاً وَقُولُوا لَا رُحِمْ

آذار ١٩٠٣

١ راية ٢ جبل ٣ رجل عظيم ٤ تصلب الجسم ٥ عبلة ٦ غابات الاسود
٧ الابطال ٨ كناية عن اسم مرتكب الغارة ٩ غبار الحرب ١٠ الغارات
١١ جمع عثنون وهو ما يتدلى من السحاب شبه الخرطوم يغير كل ما يمر به ١٢ اليوم
الشديد ١٣ يعطش اي ينضب ١٤ راسخ متين ١٥ جمع غمة وهي الكربة
١٦ جنون ١٧ هلاك ١٨ رش السحب ١٩ المهاجات ٢٠ الازمات
٢١ تتألم ٢٢ المطر الغزير ٢٣ الشبع الزائد ٢٤ ظالم

عتاب واستصراخ

أرسلها الشاعر صيحة حارة في استنهاض الهمم للذود عن طرابلس الغرب يوم غزاها الاستعمار الطلياني . اكتفينا من أبياتها بهذه النخبة المختارة يتغنى فيها الشاعر ببطولة المقاومين ، ويغذي الأمل بالنصر في مقارعة العدوان ، ويلوّح للشعوب بمصائرها ازاء الطغيان إن هي اقتصرت على الاقوال في مواقف الجدّ الحاسمة .

صَدَقْتُ فِي عَتْبِكُمْ أَوْ يَصْدُقَ ٱلشَّمَمُ   لَا ٱلْمَجْدُ دَعْوَى وَلَا آيَاتُهُ كَلِمُ
هِيَ ٱلْحَقِيقَةُ عَنْ نُصْحٍ صَدَعْتُ بِهَا   وَمَا ٱلنَّصِيحَةُ إِلَّا ٱلْبِرُّ وَٱلرَّحِمُ ١
لَمْ أَبْغِ مِنْ ذِكْرِهَا أَنْ تَيْأَسُوا جَزَعاً   خَيْرٌ مِنَ ٱلْيَأْسِ أَنْ يُسْتَقْدَمَ ٱلْعَدَمُ
أَلْيَأْسُ مَنْهَكَةٌ لِلْقَوْمِ مُوبِقَةٌ   فِي حَمْأَةٍ تَتَلَاشَى عِنْدَهَا ٱلشِّيَمُ
مَا مَطْلَبُ ٱلْفَخْرِ مِنْ أَيْدٍ مُنَعَّمَةٍ   رَطِيبَةٍ وَنُفُوسٍ لَيْسَ تَحْتَدِمُ ؟
يَأْسُ ٱلْجَمَاعَاتِ دَاءٌ إِنْ تَمَلَّكَهَا   فَهْوَ ٱلتَّحَلُّلُ يَتْلُوهُ ٱلرَّدَى ٱلْعَمَمُ ٢
كَالشَّمْسِ يَأْكُلُ مِنْهَا ظِلُّ سُفْعَتِهَا   حَتَّى يَبِيدَ شُعَاعُ ٱلشَّمْسِ وَٱلضَّرَمُ ٣

لَا تَقْنَطُوا ، كَرِهَ ٱللهُ ٱلأُولَى قَنِطُوا   أَلْيَوْمَ يَعْتَزِمُ ٱلْأَبْرَارُ فَٱعْتَزِمُوا

•

إِنِّي لَأَسْمَعُ مِنْ حِزْبِ ٱلْحَيَاةِ بِكُمْ :   نَصْراً لِأُمَّتِنَا ، سُحْقاً لِمَنْ ظَلَمُوا
نَعَمْ لِتُنْصَرْ عَلَى ٱلْبَاغِينَ أُمَّتُنَا   لَا بِالدُّعَاءِ وَلَكِنْ نَصْرُهَا بِكُمْ
لِتَحْيَ وَلْيَمُتِ ٱلْمَوْتُ ٱلْمُحِيطُ بِهَا   مِنْ حَيْثُ يَدْفَعُهُ أَعْدَاؤُنَا ٱلْغُشُمُ [٤]
أَلشَّعْبُ يَحْيَا بِأَنْ يُفْدَى ، وَمَطْعَمُهُ   مَالُ ٱلْبَنِينَ مُزَكًّى ، وَٱلشَّرَابُ دَمُ
عُودُوا إِلَى سِيَرِ ٱلتَّارِيخِ لَا تَجِدُوا   شَعْباً قَضَى ، غَيْرَ مَنْ ضَلُّوا ٱلْهُدَى وَعَمُوا
أُولَئِكُمْ إِنَّمَا بَادُوا بِزُمْرَتِهِمْ   وَأَنَّهُمْ آثَرُوا ٱللَّذَّاتِ وَٱنْقَسَمُوا
لَا شَعْبَ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ فَيُهْلِكُهُ   فَإِنْ تَرَ ٱلْقَوْمَ صَرْعَى فَٱلْجُنَاةُ هُمُ !

•

خِلْتُمْ « طَرَابُلُسَ » ٱلْغُنْمَ ٱلْمُبَاحَ لَكُمْ   وَشَرُّ مَا قَتَلَ ٱلْخِدَاعُ مَا غَنِمُوا
هُنَاكَ يَلْقَى سَرَايَاكُمْ وَإِنْ ثَقُلَتْ   عُرْبٌ صِلَابٌ خِفَافٌ فِي ٱلْوَغَى هُضُمُ [٥]
قَلُّوا وَأَبْلَى بَلَاءَ ٱلْجَمْعِ وَاحِدُهُمْ   حَتَّى تَحَيَّرَ مِمَّا خُولِفَ ٱلرَّقَمُ
لِلّٰهِ هَبَّتُهُمْ ، لِلّٰهِ غَارَتُهُمْ   تَحْتَ ٱلرَّصَاصِ وَفِي أَسْمَاعِهِمْ صَمَمُ
هُمُ ٱلسَّحَائِبُ إِلَّا أَنَّهَا أُسُدٌ   هُمُ ٱلْكَتَائِبُ إِلَّا أَنَّهَا رَخَمُ [٦]
يَغْشَوْنَ بِكْرَ ٱلرَّوَابِي وَهْيَ نَاهِدَةٌ   فَتَكْتَسِيهِمْ عَلَى عُرْيٍ وَتَحْتَشِمُ

وَرُبَّ وَادٍ تَوَارَوْا فِيهِ لَيْلَتَهُمْ   فَحَاطَهُمْ بِجَنَاحَيْهِ وَقَدْ جَثَمُوا
عَطْفَ ٱلْعُقَابِ عَلَى أَفْرَاخِهَا فَإِذَا   تَوَاثَبُوا قَلِقَتْ مِنْ رَوْعِهَا ٱلْأَكَمُ [٧]
هَلْ فِي ٱلْجُيُوشِ كَمَا فِيهِمْ مُبَاسَطَةٌ   مَعَ ٱلْمَكَارِهِ إِمَّا لَزَّتِ ٱلْأُزُمُ [٨]
جُنْدٌ مِنَ ٱلْجِنِّ مَهْمَا أُجْهِدُوا نَشِطُوا   كَأَنَّمَا ٱلْوَهْيُ بِٱلْأَعْدَاءِ دُونَهُمُ
مَهْمَا تَشَنَّعَتِ ٱلْحَرْبُ ٱلضَّرُوسُ لَهُمْ   أَعَارَهَا مَلْمَحاً لِلْحُسْنِ حُسْنُهُمُ
وَٱلْأَرْضُ رَاقِصَةٌ وَٱلرِّيحُ عَازِفَةٌ   وَٱلْجِدُّ يَمْزَحُ وَٱلْأَخْطَارُ تَبْتَسِمُ
مُسْتَظْرِفِينَ وَلَا دَعْوَى وَلَا صَلَفٌ   مُعَذَّبِينَ وَلَا شَكْوَى وَلَا سَأَمُ
وَقَدْ يَكُونُونَ فِي بُؤْسٍ، وَفِي عَطَشٍ   فَمَا يَقِي ٱلْغُرَمَاءَ ٱلرِّيُّ وَٱلْبَشَمُ [٩]
أَلْجُوعُ قُبِّحَ مِنْ كُفْرٍ، وَإِنْ وَلَدَتْ   مِنْهُ أَعَاجِيبَهَا ٱلْغَارَاتُ وَٱلْقُحَمُ [١٠]
هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلَّذِي لَا يَظْفَرُونَ بِهِ   وَهْوَ ٱلْخَفِيُّ ٱلَّذِي يُفْنِي وَيَهْتَضِمُ [١١]
كُونُوا مَلَائِكَ لَا جُوعٌ وَلَا ظَمَأٌ   وَلْيَغْلِبَنَّ نِظَامَ ٱلْخَلْقِ صَبْرُكُمُ
أَلَسْتُمُ ٱلْغَالِبِينَ ٱلدَّهْرَ تَدْهَمُكُمْ   مِنْهُ ٱلصُّرُوفُ فَتَعْيَا ثُمَّ تَنْصَرِمُ ؟
أَلَيْسَ مِنْكُمْ أَوَانَ ٱلْكَرِّ كُلُّ فَتًى   يَصُولُ مَا شَاءَ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَحْتَكِمُ ؟
صَعْبُ ٱلْمِرَاسِ عَلَى ٱلْآفَاتِ يُتْعِبُهَا   جَلْدٌ تَقَاذَفُهُ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلظُّلَمُ
وَكُلُّ ذِي مِرَّةٍ يَمْضِي بِرَايَتِهِ   إِلَى ٱلْجِهَادِ كَمَا ٱعْتَادَتْ وَيَغْتَنِمُ [١٢]
يَقُولُ لِلْعَلَمِ ٱلْخَفَّاقِ فِي يَدِهِ :   فِيَّ [١٣] مِنَ ٱلْأَرْضِ مَا تَخْتَارُ يَا عَلَمُ !

أَلْمَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ عُقْبَى مُجَاهَدَةٍ   نَوْمٌ تَبَالَدَ حَتَّى مَا بِهِ حُلُمُ
بَعْضُ الثَّرَى فِيهِ آمَالٌ يُحَسُّ لَهَا   رِكْزٌ ١٤ وَنَبْضٌ وَفِي بَعْضِ الثَّرَى رِمَمُ
أَرْعِدْ حَدِيدُ وَأَبْرِقْ فِي كَتَائِبِنَا   وَأَغْلِظْ وَرِقَّ كَمَا يَبْغِيكَ بَطْشُهُمُ
أَبْصُقْ دُخَانًا بِوَجْهِ الْمُعْتَدِي وَلَظَى   إِذَا الْتَفَتَ تُحَاذِيهِ وَفِيكَ فَمُ
أَوِ الْتَمِعْ فِي نِصَالٍ لَا عِدَادَ لَهَا   خَطَّافَةٍ تَتَغَنَّى وَهْيَ تَقْتَسِمُ !
وَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنْ كَسْبِ غَزْوَتِهِمْ   إِلَّا الشَّقَاءُ وَعَارٌ خَالِدٌ يَصِمُ !

١ الرحم : الاشفاق . ٢ العمم : الشامل . ٣ السفعة : ما يغشى وجه الشمس من بقع سود . ٤ الغشم : جمع غشوم ، وهو الظالم . ٥ الجنود العرب في جيش الدولة العثمانيه . هضم : جمع أهضم وهو الضامر . ٦ الرخم جمع رخمة ، وهي من الطير الجوارح . ٧ الاكم ، جمع أكمة ، وهي التل . ٨ لزت ، اجتمعت وتضايقت . الازم . الازمات . ٩ البشم . التخمة . ١٠ القحم ، جمع قحمة ، وهي المهلكة . ١١ يهتضم ، يغضب . ١٢ يغتنم ، يأتي بالغنائم . ١٣ فيء ، ظلل . ١٤ ركز ، صوت خفي .

فهرس

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع نصار
في الـيوم الاول من تشرين الاول
سنـة تسع واربعين وتسعماية والف .

الثمن ٧٥ قرشاً لبنانياً

تصويب

ص	سطر	خطأ	صواب
٥	١	اول سنة	اول صيف سنة
٨	١٦	جار	غار
١١	٤ (من الشعر)	جباهمم	جباههم
٦٠	١٤	بوم	يوم